ترتيل القرآن الكريم

في ضوء

الدراسات اللغوية الحديثة

تأليف الدكتور

عبد الفتاح عبد العليم البركاوي

أستاذ ورئيس قسم أصول اللغة

بكلية اللغة العربية ـ جامعة الأزهر

الطبعة الأولى

١٤٢٥ - ٢٠٠٤م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .. وبعد :

فقد جمع النص القرآني بين الجمال والكمال من ناحية والجلال والإعجاز من ناحية أخرى ، أما الجمال والكمال فيتمثلان في تلك العذوبة الأدائية والوضوح التام في جانب اللفظ ، وأما الجلال والإعجاز فيتمثلان في دقة المعاني وإحكامها وحسن نظمها ، وكلا الأمرين من الكمال والجلال يجمعهما « الترتيل » الذي أمرنا به المولى عز وجل في قوله سبحانه : ﴿ ورتل القرآن ترتيلا ﴾ [المزمل : ٤] ، ومعنى الترتيل كما جاء في التفسير عن الإمام علي ـ رضي الله عنه وكرم الله وجهه ـ هو تجويد الحروف ومعرفة الوقوف ، إذ بالتجويد يتحقق جمال اللفظ وبهاؤه ، وبالوقف في مواضعه يتحقق جلال المعنى ويتم وصوله إلى المتلقي في أروع بيان وأحسن نظم .

إن المسلم بوجه عام ، والمتخصص في العربية على وجه الخصوص مطالب بأن يتقن الأمرين جميعا ، وأن يمارسهما بعد ذلك في تلاوة حسنة وتدبر خاشع ، ليتنقل بعد ذلك إلى العمل بما في القرآن الكريم ، فيكون بذلك من الذين قال الله تعالى فيهم : ﴿ الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به ... ﴾ [البقرة : ١٢١] ، ولا شك أن القراءة المرتلة هي الوسيلة المثلى لرفع منزلة المسلم يوم القيامة ، حيث ورد عن النبي ﷺ فيما يرويه عنه عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ : « يقال لصاحب القرآن يوم القيامة : اقرأ وارْقَ ، ورتل كما كنت ترتل في الدنيا ، فإن منزلتك عند آخر آية كنت تقرؤها ... »[1] .

---

(١) أخرجه الترمذي (رقم ٩١٤) ، وقال : حسن صحيح ، ورواه أبو داود (رقم ١٤٦٤) ، وقال الألباني في تخريجه : صحيح ، وصححه الحاكم أيضا (١/ ٥٥٢) .

لقد بذل اللغويون والقراء جهودا مضنية في مجالي الترتيل : التجويد والوقف ، وجعلوا من كل منهما فنا مستقلا ، عُرف الأول بـ « علم التجويد » ، والآخر بـ « علم الوقف والابتداء » ، وقد أثمرت تلك الجهود المباركة مؤلفات عديدة في كلا العلمين سنعرض لها - بإيجاز - عند الحديث عن كل منهما ، وفي العصر الحديث أصبحت الدراسات الصوتية والدلالية فروعا مستقلة من فروع الدرس اللغوي ، وقد رأينا أن نفيد من تلك الجهود المعاصرة في فهم وتفسير ما خلف القدماء من دراسات واعية اعتمدت على التلقي من ناحية ، وعلى الملاحظات الذاتية والذوق اللغوي من ناحية أخرى ، وقد قسمنا هذه الدراسة إلى أربعة أبواب ، الأول : نتناول فيه فن الأداء القرآني أو علم التجويد ، الذي يتناول أصوات القرآن الكريم ، والثاني : علم الوقف والابتداء من النواحي الدلالية والنحوية ، كما نتناول أيضا الآثار الصوتية لكل منهما ، أما الباب الثالث فقد تناولنا فيه نصوصا تراثية تتعلق بفن الأداء القرآني وبعلم الوقف والابتداء ، وقد راعينا أن تكون هذه النصوص شاملة لفرعي الترتيل في مظانهما المختلفة ، وأن تغطي فترة زمنية واسعة نسبيا لتعطي القارئ فكرة - ولو موجزة - عن تطور التأليف في كلا الفرعين ، وفي الباب الأخير أوردنا مجموعة صالحة من التدريبات الصوتية والأدائية نأمل أن تكون عونا في استيعاب أحكام الترتيل .

« اللهم إني أسألك بكل اسم هو لك ، سميت به نفسك ، أو أنزلته في كتابك ، أو استأثرت به في مكنون الغيب عندك ، أن تجعل القرآن الكريم ربيع قلبي ، وجلاء همي وغمي ... » ، وأن تنفع بهذه الدراسة ، وتجعلها خالصة لوجهك الكريم .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

تمهيد

بين الترتيل والتجويد

بين الترتيل والتجويد علاقة وثيقة وجوهرية ، تتمثل في أن التجويد جزء من الترتيل ، لأن الترتيل يشتمل عليه وعلى معرفة الوقف ، وسنشير ـ بإيجاز ـ إلى معنى هذين المصطلحين في كل من اللغة والاصطلاح ، وذلك على النحو التالي :

أولا : الترتيل

الترتيل لغة : الترتيل مصدر قولهم : رتّل فلان كلامه ، وهو ماخوذ من الرتل ، أي حسن تناسق الشيء ، يقال : كلام رَتَلٌ ورَتِلٌ أي مُرَتّل حسن على تؤدة ، ورتّل الكلام : أحسن تأليفه وأبانه وتمهل فيه .

والترتيل في القراءة : الترسل فيها والتبيين من غير بغي [1] ، وفي التنزيل العزيز : ﴿ ورتل القرءان ترتيلا ﴾ [المزمل : ٤] ، قال ابن كثير في تفسير هذه الآية الكريمة : « المعنى : اقرأه على تمهل ، فإنه يكون عونا على فهم القرآن وتدبره ، وكذلك كان يقرأ صلوات الله وسلامه عليه » [2] ، ونقل الطبري بسنده عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن المعنى : بينه بيانا [3] .

والبيان يشمل الألفاظ والمعاني ، أما الألفاظ فبالتجويد ، وأما المعاني فبالوقف الصحيح .

وقال ابن منظور : « يقال : رتّل القراءة وترتل فيها (بمعنىً) ،

---

(١) لسان العرب لابن منظور ١١/ ٢٦٤ (ط. بيروت) بتصرف واختصار .
(٢) تفسير ابن كثير ٤/ ٤٣٤ .
(٣) تفسير الطبري مجلد ١ جـ ٢٩ ص ٨٠ .

وقول الله تعالى : ورتَّلناه ترتيلا ، أي أنزلناه على الترتيل ، وهو ضد العجلة ، وترتل في الكلام : ترسّل ، والرَّتَلُ والرَّتِلُ : الطيب من كل شيء .

وفي صفة قراءة النبي ﷺ كان يرتل آية آية ، وترتيل القراءة هنا معناه الثاني فيها والتمهل ، وتبيين الحروف والحركات تشبيها بالثغر المرتل ، وهو المشبه بِنَوَرِ الأقحوان [١] .

الترتيل اصطلاحا

للترتيل في الاصطلاح تعريفات عديدة أهمها :

١ ـ الترتيل : تجويد الحروف ومعرفة الوقوف [٢] .

٢ ـ الترتيل : هو تلاوة القرآن الكريم تلاوة تُبيِّنُ حروفها ، وتُأنِّي في أدائها ، ليكون ذلك أدعى إلى فهم المعاني [٣] .

٣ ـ الترتيل : هو القراءة بتؤدة واطمئنان ، وإخراج كل حرف من مخرجه ، وإعطائه حقه ومستحقه ، مع تدبر المعاني [٤] .

وتشير عبارة « فهم المعاني » في التعريف الثاني ، وعبارة « تدبر المعاني » في التعريف الثالث إلى ضرورة مراعاة حسن الوقف والابتداء

---

(١) لسان العرب لابن منظور ١١/ ٢٦٤ (ط. بيروت) بتصرف واختصار .

(٢) نقل ابن الجزري هذا التعريف عن الإمام علي ـ رضي الله عنه ـ ، انظر : النشر في القراءات العشر ١/ ٢٠٩ .

(٣) فتح الباري ٧/ ٧٠٧ .

(٤) البرهان في تجويد القرآن ص ٦ ، والمراد بـ « مستحق الحرف » : ما يعرض له في التركيب مثل الإخفاء والإدغام وغيرها ، أي عندما يجاوره غيره من الحروف في كلمة أو كلمات متجاورة ، أما حق الحرف فهو ما يستحقه من الصفات اللازمة له مثل الجهر والهمس والشدة والرخاوة .

حتى لا يختل المعنى أو يعتريه الغموض ، وبهذا تلتقي كل التعريفات في أن الترتيل يشمل التجويد كما يشمل الوقف .

مراتب الترتيل [١]

يرى المحققون من العلماء أن الترتيل يشمل مراتب التلاوة كلها من تحقيق وحدر وتدوير ، يقول العلامة ابن الجزري : « إن كلام الله تعالى يقرأ بالتحقيق وبالحدر وبالتدوير مرتلا مجوداً بلحون العرب وأصواتها » .

ومن ثم يكون للترتيل ـ أي للقراءة المرتلة ـ ثلاث مراتب ، هي :

١. التحقيق

التحقيق في اللغة : مصدر قولهم : « حققت الشيء » إذا بلغت يقينه وأتيت به على حقه من غير زيادة ولا نقصان ، ومن ذلك قولهم كلام محقق أي رصين .

التحقيق اصطلاحا : إعطاء كل حرف حقه من إشباع المد وتحقيق الهمزة وإتمام الحركات واعتماد الإظهار والتشديدات ، وتوفية الغُنّات ، وتفكيك الحروف أي بيانها وإخراج بعضها من بعض بالسكت والترسل

---

(١) ذهب كثير من العلماء إلى أن الترتيل مرتبة من مراتب التلاوة ، وجعل مراتب التلاوة أربعة ، هي : الترتيل والتحقيق والحدر والتدوير . انظر في ذلك : نهاية القول المفيد ص ١٥ ، وهداية القارئ ١/ ٤٣ ، والذي نرجحه أن يكون الترتيل أعم من غيره من أنواع القراءة من حيث إن التحقيق والحدر والتدوير لا بد فيها جميعا من الترتيل ، كما أن الترتيل لا بد فيه من معرفة مواضع الوقف الصحيح والأخذ بها في القراءة ، والقول بأن الترتيل يشمل الأنواع الثلاثة يجعل من المتعين على القارئ أيا كانت قراءته (تحقيقا أو حدراً أو تدويراً) مراعاة صحة الوقف والابتداء .

واليسر والتؤدة وملاحظة الجائز من الوقوف [١] .

وهذا النوع هو الذي يستحسن ويستحب الأخذ به للمتعلمين من غير أن يتجاوز به إلى حد الإفراط .

وقد فرق بعض العلماء بين التحقيق والترتيل ، فذكر أن التحقيق يكون للرياضة والتعلم ، وبأن الترتيل يكون للتدبر والتفكر والاستنباط [٢] ، وهذا فرق من حيث الغاية أو الهدف من القراءة ، والصواب ما ذكرناه من أن التحقيق نوع من الترتيل ، وليس مغايرا له ، وأن الترتيل يشمل القرءين الآخرين من أنواع القراءة ، وهما :

٢.الحدر

الحدر في اللغة : مصدر : حَدَر الشيء يَحْدِره حدراً ، أي : حطه من علوٍّ إلى سفل ، ومنه سميت القراءة السريعة « الحدر » ، لأن صاحبها يحدرها حدراً .

الحدر اصطلاحا : هو إدراج القراءة وسرعتها مع مراعاة أحكام التجويد من إظهار وإدغام وقصر ومد ووقف ... إلخ ، سئل الأهوازي عن الحدر فقال : الحدر هو القراءة السمحة العذبة الألفاظ التي لا تُخْرِجُ القارئ عن طباع العرب العرباء ، وعما تكلمت به الفصحاء بعد أن يأتي بالرواية عن إمام من أئمة القراءة .

٣.التدوير

التدوير في اللغة : مصدر قولهم : دوّر الشيء أي جعله مدوراً .

---

(١) النشر : ١/ ٢٠٥ .

(٢) المصدر السابق ٢/ ٢٠٩ .

التدوير اصطلاحاً : هو عبارة عن التوسط بين الحدر والترتيل ، وهو الذي ورد عن أكثر الأئمة .

أي هذه الأنواع أفضل ؟

اختلف العلماء ـ رحمهم الله ـ في الأفضل ، هل هو التحقيق ، أو التدوير مع قلة القراءة ، أو الحدر مع كثرة القراءة ؟ قال ابن الجزري : والصواب ما عليه معظم السلف والخلف وهو : أن التحقيق والتدوير مع قلة القراءة أفضل من السرعة مع كثرتها ؛ لأن المقصود من القرآن فهمه والتدبر فيه والعمل به ، وتلاوته وحفظه وسيلةٌ إلى فهم معانيه [١] .

* * *

(١) نهاية القول المفيد في علم التجويد للشيخ مكي نصر ص ١٦ ، وقد ذكر في الأصل لفظ « الترتيل » بدلا من التحقيق ، وذلك بناء على أن الترتيل من مراتب القراءة ، وقد رجحنا أن الترتيل يشمل مراتب القراءة كلها ، ومن ثم يكون التحقيق هو أقل المراتب من حيث كمية المقروء يليه التدوير (في مرتبة وسط) ثم يأتي الحدر وهو أكثرها من حيث سرعة القراءة ومن ثم كثرتها .

علم الأصوات والأداء القرآني

تمهيد

لقد كان الأداء القرآني على وجهه الصحيح من أهم العوامل التي ساعدت على تقدم البحث الصوتي عند العرب ، وقد اختصت البحوث التي قام بها أهل هذا الأداء باسم خاص هو « علم التجويد » ، ولما كان الأداء القرآني يختلف أحيانا باختلاف القراءات القرآنية ، فإنه كثيرا ما نجد كتب القراءات تحوي أيضا بحوث علم التجويد ، ولعل كتاب « النشر في القراءات العشر » لابن الجزري خير مثال لذلك ، بيد أننا لا نعدم في كثير من الأحيان مؤلفات خاصة بعلم التجويد ، ومن أمثلة ذلك : كتاب « التحديد » لأبي عمرو الداني ، وكتاب « الرعاية » لمكي بن أبي طالب ، وكتاب « نهاية القول المفيد في علم التجويد » لمحمد مكي نصر [1] وقد اختص بعض الناظمين هذا العلم بمنظوماتهم التي تساعد الناشئين على الإلمام بمسائله وقضاياه ، ومن أمثلة ذلة : « تحفة الأطفال » للشيخ سليمان الجمزوري ، و« متن الجزرية » للعلامة الجزري الشافعي ، و« إضاءة الملهوف في عدد صفات الحروف » للشيخ إبراهيم سعد [2] .

لعله من الخير قبل أن نعرض لبعض مسائل علم التجويد ، محاولين تفسيرها في ضوء علم الأصوات الحديث ، أن نوضح مفهوم هذا العلم كما كان يراه أسلافنا من أهل الأداء القرآني .

---

(١) طبع هذا الكتاب للمرة الأولى في بولاق سنة ١٣٠٦هـ ، ويتولى إعادة طبعه الآن مكتبة الخليجي في القاهرة .

(٢) طبعت هذه المنظومات الثلاثة في القاهرة سنة ١٣٧٣هـ (دار القاهرة للطباعة) .

علم التجويد

التجويد في اللغة مصدر جوّد الشيء ، أي : صيره جيّداً ، والجيّد ضد الرديء [١] ، وإذا أضفنا التجويد إلى القرآن الكريم ، كان معنى ذلك ـ لغويا ـ : الإتيان بالقراءة مجودة الألفاظ ، بريئة من الرداءة في النطق [٢] .

أما في الاصطلاح فيعني : تلاوة القرآن الكريم بإعطاء كل حرف حقه من مخرجه وصفته [٣] اللازمة له من جهر وهمس ، شدة ورخاوة ونحوها ، وإعطاء كل حرف مستحقه مما يشاء من الصفات المذكورة ، كترقيق المستفل ، وتفخيم المستعلي ونحوها ، وردّ كل حرف إلى أصله من غير تكلف .

وقد عرفه ابن الجزري في النشر بأنه : « إعطاء الحروف حقوقها وترتيبها ومراتبها ، ورد الحرف إلى مخرجه وأصله وإلحاقه بنظيره وتصحيح لفظه وتلطيف النطق به على حال صيغته وكمال هيئته من غير إسراف ولا تعسف ولا إفراط ولا تكلف » [٤] ، وهذا التعريف أقرب

---

(١) جاء في اللسان (ط. دار المعارف) ص ٧٢٠ : « الجيّد نقيض الرديء ، وجاد الشيء جَوْدة وجُودَة أي صار جيداً ، وأجدت الشيء فجاد ، والتجويد مثله » ، وقد جاء في المعجم الوسيط (١/ ١٤٥) : « جوّد الشيء بمعنى أجاده » .

(٢) النشر ١/ ٢٠١ .

(٣) كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي ١/ ٢٧٩ ، ويبدو أن التهانوي يشير بهذا الجزء من التعريف إلى الخواص الرئيسية ، أو ما أسميناه بالصفات الفارقة التي تميز وحدة صوتية من وحدة صوتية أخرى ، ولعل مراده بالجزء التالي من التعريف وهو إعطاء كل حرف مستحقه مما يشاء من الصفات إلخ ... تلك الصفات الثانوية التي تخضع غالبا لظروف السياق ، وهو ما أسميناه بالصفات الثانوية أو غير الفارقة .

(٤) النشر ١/ ٢١٢ ، وقد نقل السيوطي في الإتقان هذا التعريف ونسبه إلى القراء . انظر : الإتقان في علوم القرآن ١/ ١٠٠ .

إلى الدقة في نظرنا ، لأنه يتضمن إشارة صريحة إلى ما يعرض للصوت في سياق الكلام ، إذ أن تلطيف النطق بالصوت على حال صيغته ، أي الصيغة الكلامية التي ورد فيها ، يعني مراعاة الانسجام النطقي بين هذا الصوت وما يكتنفه من أصوات أخرى ، وقد أكد السيوطي في الإتقان (١/ ١١١) هذا المعنى بقوله : « أنه إذا أحكم القارئ النطق بكل حرف على حدته ، مُوَفٍ حقه ، فليُعْمِلْ نفسه بإحكَامِه حالة التركيب ، لأنه نشأ حالة التركيب ما لم يكن حالة الإفراد ، بحسب ما يجاور الحروف من مجانس أو مقارب ... » ، ثم ذكر أن من أحكم صحة التلفظ هنا (أي في حالة التركيب) فقد حصل حقيقة التجويد .

موضوعات علم التجويد

يتناول علم التجويد الذي يمكن أن نطلق عليه أيضا فن الأداء القرآني ، أو علم أصوات القرآن الكريم ، ثلاثة موضوعات أساسية هي :

١ ـ مخارج الأصوات (الحروف) العربية ، وهي المواضع التي تتولد فيها هذه الأصوات ، ويتحدد فيها أهم ملامحها الفارقة .

٢ ـ صفات الأصوات العربية مفردة مثل الجهر والهمس ، والشدة والرخاوة ، والإطباق والانفتاح ، ونحو ذلك مما سنوضحه فيما بعد .

٣ ـ صفات الأصوات العربية مركبة مثل الإدغام والإخفاء والترقيق والتفخيم ... إلخ .

* * *

الباب الأول
فن الأداء القرآني

- نشأة علم التجويد وتطور التأليف فيه.
- مخارج الأصوات العربية عند علماء التجويد.
- صفات الأصوات العربية:
  أ. الصفات اللازمة المتضادة.
  ب. الصفات اللازمة غير المتضادة.
  ج. الصفات العارضة.

نشأة علم التجويد وتطور التأليف فيه

لقد أكد أصالة الدراسة الصوتية عند العرب بعض الباحثين عندما تساءل قائلا : ما الباعث الذي حث العرب على دراسة أصوات العربية وعلى إنشاء قواعد لنطقها ؟ ثم أجاب بقوله : « يظهر أن هذا الباعث كان القرآن الشريف ، لأن العجم الذين أسلموا في القرنين الأولين من قرون الإسلام ، كان يهمهم للغاية أن يحسنوا قراءة المصحف الشريف ، ويتطقوا أصواته نطقا عربيا خالصا ، ولم يروا إلى ذلك سبيلا إلا تعميق المطالعة لأصوات العربية وإحكام إنتاجها »[1] .

وهكذا نشأت الدراسات الصوتية بوجه عام خدمة للأداء القرآني على وجهه الصحيح ، وقد كانت جهود أبي الأسود الدؤلي المتمثلة في وضع رموز للحركات القصار من الفتحة والكسرة والضمة هي البداية الأولى لتوجيه الأنظار نحو الدرس الصوتي عامة ، وأصوات القرآن الكريم على وجه الخصوص ، روي أن أبا الأسود الدؤلي سمع رجلا يقرأ : « إن الله بريء من المشركين ورسوله » ـ بكسر اللام ـ ، فقال : « لا أظنني يسعني إلا أن أضع شيئا أصلح به نحو هذا »[2] ، وهذه العبارة تفسر ربط كثير من الباحثين بين النشأة الأولى لكل من النحو وعلم الأصوات ، فجعلوا علم الأصوات جزءاً من النحو بمعناه العام ، يقول برجشتراسر : « لقد نشأ البحث الصوتي عند العرب في بدايته جزءاً من أجزاء النحو ، ثم استعاره أهل الأداء والمقرئون ، وزادوا فيه تفصيلات كثيرة مأخوذة من القرآن الكريم »[3] .

---

(١) علم الأصوات عند سيبويه وعندنا للمستشرق الألماني شاده ص ٣١ .

(٢) مراتب النحويين لأبي الطيب اللغوي ص ٢٦ .

(٣) التطور النحوي لبرجشتراسر ص ٥ (طبعة السماح بعناية حمدي البكري) .

ولعل المقصود بأهل الأداء والمقرئين المتأخرون منهم ، أي الذين كتبوا مؤلفات مستقلة في علم التجويد ابتداء من القرن الرابع الهجري ، أما المتقدمون من القراء وأهل الأداء فقد سبقوا النحاة في جوانب مهمة تتعلق بالدراسات الصوتية في القرآن الكريم ، وذلك كما فعل عبد الله ابن عامر (١١٩هـ) قارئ أهل الشام في كتابه « المقطوع والموصول في القرآن » ، وكما فعل أبو عمرو بن العلاء (١٥٤هـ) قارئ أهل البصرة في مؤلفاته القرآنية العديدة .

ولم يدخل علم التجويد مرحلة النضج والاكتمال إلا منذ النصف الأول من القرن الخامس الهجري إما في شكل مؤلفات مستقلة خاصة في المغرب العربي كما هو الحال عند كل من أبي عمرو الداني (٤٤٤هـ) ، ومكي بن أبي طالب (٤٣٧هـ) ، فقد ألف الأول كتاب « التحديد في صنعة الإتقان والتجويد » ، وألف الثاني كتاب « الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة » ، وسنقتبس نصا من الكتاب الأول لتوضيح قيمة هذه الجهود العظيمة لعلمائنا القدامى .

أما المنحى الآخر للتأليف في فن الأداء القرآني فيتمثل في تلك المقدمات التي صدر بها علماء القراءات مؤلفاتهم العظيمة ، ويمثل هذا الاتجاه ابن الباذش (٥٤٠هـ) في كتاب الإقناع ، وابن الجزري في كتابه « النشر في القراءات العشر » ، أما المؤلفات الحديثة في علم التجويد فهي عديدة ومتنوعة لعل من أهمها : كتاب « هداية القاري في تجويد كلام الباري للشيخ عبد الفتاح عجمي المرصفي » ، وقد كفانا مؤونة الإفاضة في هذا المجال ما كتبه كل من :

ـ برافمان Bravmann في كتابه : مواد وبحوث في علم الأصوات عند العرب ، وقد نشره بالألمانية في جوتنجن ١٩٣٤م ، حيث شغلت فيه البحوث الصوتية عند علماء التجويد وأهل الأداء القرآني معظم الصفحات ، وقد ذيل هذه المواد بترجمة ألمانية لكتاب ابن سينا .

ـ الدكتور عبد الله ربيع في بحثه : أصوات العربية والقرآن الكريم ، منهج دراستها وتعليمها عند مكي بن أبي طالب [١] .

ـ الدكتور غانم قدوري الحمد في كتابه : الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ، وهو أوسع ما كتب عن جهود علماء التجويد في مجال الدراسة الصوتية [٢] .

وقد ذكر الدكتور غانم قدوري تسعة وأربعين مؤلفا مستقلا في علم التجويد ، بدأها بـ « قصيدة أبي مزاحم موسى بن عبيد الله الخاقاني (٣٢٥هـ) ، واختتمها بـ « كتاب خلاصة العجالة في بيان مراد الرسالة » لحسن بن إسماعيل الدَّرْكَزْلي (١٣٢٧هـ) ، وذكر أن هذا الكتاب الذي لا يزال مخطوطا هو أكبر كتب التجويد التي اطلع عليها [٣] .

---

(١) نشر هذا البحث في مجلة كلية اللغة العربية ـ جامعة الإمام محمد بن سعود ، العدد التاسع ص ٢٢٧ - ٢٧٨ .

(٢) يشتمل الكتاب على ما ينيف على ستمائة صفحة ، وقد نشر في بغداد سنة ١٩٨٦م.

(٣) الدراسات الصوتية ص ٤٣ ، وقد ذكر أسماء عشرين مؤلفا للمحدثين والمعاصرين رأى أنها لا تتضمن جديدا يمكن إضافته إلى الجهود السابقة ، ونحن لا نوافقه في تعميم هذا الحكم على كتب المتأخرين ، نظرا لأن بعضها وخاصة كتاب « نهاية القول المفيد في علم التجويد » للشيخ محمد مكي نصر ، قد حوى إفادات جمة لا يستغني عنها أي دارس لعلم التجويد .

وقد زاد الدكتور عبد الله ربيع مؤلفات أخرى في القرن الرابع عشر الهجري ، منها : الفوائد المعتبرة للشيخ محمد المتولي (جمع وترتيب محمد علي الضباع) ، والعميد في فن التجويد للشيخ محمود علي بسَّه ، وأحكام قراءة القرآن للشيخ الحصري [١] .

* * *

(١) انظر : علم التجويد للدكتور عبد الله ربيع ص ٣٦ وما بعدها ، هذا وقد تضمنت مقدمة تحقيق كتاب التحديد في صنعة الإتقان والتجويد (التي كتبها الدكتور أحمد عبد التواب القيومي) قائمة بمؤلفات التجويد التي تسنى له معرفتها ، وهي لا تخرج عما ذكره الباحثان السابقان .

مخارج الحروف

قبل الحديث عن مخارج الحروف العربية ، لا بد من إعطاء فكرة موجزة عن أمرين :

الأول : معنى الحرف .

الثاني : أعضاء النطق التي تسهم في إخراجه .

مخرج الحرف : هو ذلك الموضع الذي يعاق عنده الهواء المكون للحرف ، وذلك مثل الحلق أو الشفتين مثلا ، وعندما نقول إن العين تخرج من الحلق فمعنى ذلك أن إعاقة الهواء تكون في منطقة ما من الحلق عند النطق بالعين ، وعندما نقول الباء حرف شفوي ، أو مخرجه من الشفتين فمعناه أن الهواء المكون لهذا الحرف يعاق في منطقة الشفتين ، ولما كانت هذه النقطة التي يعاق فيها الهواء محلا لخروج الحرف ، عرَّف القدماء المخرج بأنه : محل خروج الحرف الذي يميزه عن غيره (١) .

أعضاء النطق : زود الله ـ عز وجل ـ الإنسان بمجموعة من الأعضاء التي تسهم في تكوين الأصوات وإخراجها ، وهذه الأعضاء هي :

١ ـ الحنجرة . ٢ ـ الحلق . ٣ ـ اللهاة (٢) .

---

(١) وفي هذا التعريف نظر ؛ لأن الحرف في كثير من الأحيان لا يتميز عن نظيره بالمخرج وحده ، وذلك كما في الحروف المتجانسة أي التي اتحدت في مخارجها ، وذلك مثل الدال والتاء والطاء ، وهذه الثلاثة مخرجها واحد ، وهي لا تتميز عن بعضها إلا بالصفة ، ولذلك فالأولى أن يعرف المخرج بأنه : محل خروج الحرف فقط .

(٢) اللهاة ـ بفتح اللام ـ : اللَّحمة المشرفة على الحلق في أقصى سقف الفم .

٤ ـ اللسان . ٥ ـ الحَنَك [١] . ٦ ـ الأسنان .

٧ ـ الشفتان . ٨ ـ تجويف الأنف . ٩ ـ الجوف [٢] .

ولكل عضو من هذه الأعضاء دوره في إخراج واحد أو أكثر من الحروف العربية ، وقد يقسم العضو الواحد إلى أكثر من قسم ، وذلك مثل الحلق الذي ينقسم إلى أقصى الحلق ووسط الحلق وأدنى الحلق ، ولكل قسم من هذه الأقسام الفرعية حروفه المختصة به ، فالهمزة والهاء مخرجهما أقصى الحلق ، والعين والحاء يخرجان من وسط الحلق ، والغين والخاء يخرجان من أدنى الحلق (أي أقربه إلى الفم) .

ويلاحظ هنا أنه قد يشترك أكثر من عضو واحد في إخراج صوت ما ، مثال ذلك أن الفاء تشترك فيها الشفة السفلى مع أطراف الأسنان العليا ، ولذلك فهي حرف شفوي أسناني .

تنبيه : تختلف اللغات الإنسانية في عدد المخارج وفي الحروف التي تخرج من كل منها ، والذي يعنينا هنا هو مخارج الحروف في اللغة العربية .

---

(١) الحنك ـ بفتح الحاء والنون ـ : أعلى باطن الفم .

(٢) هذه الأعضاء هي التي تؤدي دوراً مباشراً في عملية النطق ، وهناك أعضاء أخرى ضرورية لعملية النطق ، بيد أن دورها دور غير مباشر ، وهي : الرئتان والقفص الصدري والحجاب الحاجز والقصبة الهوائية . انظر في ذلك : مقدمة في أصوات اللغة العربية للدكتور عبد الفتاح البركاوي ص ٣٤ (ط. رابعة) .

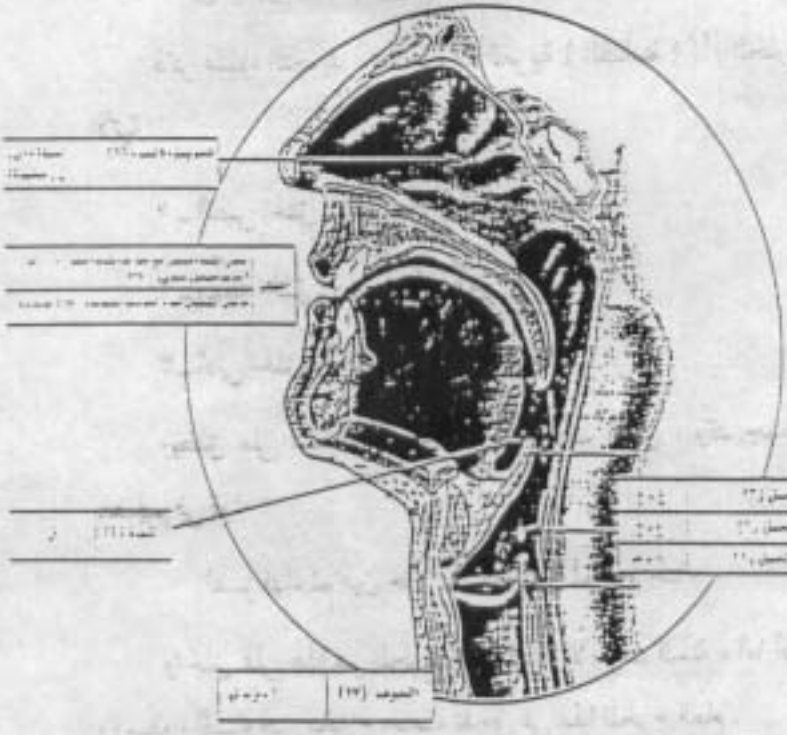

لقمي اللسان ; جهة الحنك (٥)	
رسغ اللسان وحد يحدوه من الجهة الأمامي ; وحد وسيط (٦)	
حافة اللسان وحد يحدانها من الأعراض اللثة (٧)	
عرف اللسان بينه وبين ما فوقه الثنايا (السنية اللثوي) (٨)	
عرف اللسان مع أصول الثنايا العليا من اللثة (عرف لثوي) (٩)	
أعلى حافة اللسان بالماء فتحة الفم مع ملامستها للأسنان الأمامية (١٠)	
عرف اللسان مع أصول الثنايا العليا (١١)	
عرف اللسان وأطراف الثنايا العليا (١٢)	
أسنة اللسان (مستوى عرفه) مع أصول الثنايا مع إبقاء فرجة بينهما (١٣)	

مخارج الحروف [١] العربية

ذكر علماء التجويد أن للحروف العربية (الصامتة) [٢] المخارج الآتية :

١ ـ أقصى الحلق ، وهو مخرج الهمزة والهاء .

٢ ـ وسط الحلق ، وهو مخرج العين والحاء .

٣ ـ أدنى الحلق ، وهو مخرج الغين والخاء .

ويطلق على هذه الأحرف الستة : حروف الحلق ، وقد جمعها بعضهم في قوله :

همز فهاء ثم عين حاء مهملتان ثم غين خاء

والحلق على هذا هو المخرج العام لهذه الأحرف الستة ، أما أدناه ووسطه وأقصاه فهي مخارج خاصة تدخل في هذا المخرج العام .

٤ ـ اللهاة : عندما تلتقي اللهاة (وهي الجزء المتدلي من مؤخر سقف الحنك) بأقصى اللسان (وهو جزؤه الذي يلي الحلق) يخرج حرف القاف ، وتسمى القاف لذلك بالحرف اللهوي ، وبعض العلماء يعتبرون اللهاء جزءاً من أقصى الحنك ، وينسبون هذا المخرج إلى أقصى اللسان وما يحاديه من الحنك الأعلى .

---

(١) ذكرنا لفظ الحروف اتباعا لمذهب السلف من علماء التجويد والقراءات ، والمراد

٥ ـ أقصى اللسان مما يلي مخرج القاف وما يحاذيه من الحنك الأعلى ، وهو مخرج الكاف (وبعضهم يجعل الكاف مثل القاف من الحروف اللهوية) .

٦ ـ وسط اللسان وما يحاذيه من الحنك الأعلى (وهو وسطه) وهو مخرج الجيم والشين والياء ، وتسمى هذه المنطقة بـ « شَجْر الفم » ، ولذا تسمى هذه الأحرف : الأحرف الشَّجْرِيّة .

٧ ـ حافة اللسان وما يليها من الأضراس (العليا) وهي مخرج الضاد .

٨ ـ طرف اللسان بينه وبين ما فويق الثنايا (أي ما يعلو أطراف الثنايا العليا ويتلوها مباشرة من اللثة) وهو مخرج النون المظهرة .

٩ ـ طرف اللسان ، وجزء من ظهره فيما بينه وبين ما فويق الثنايا ، مخرج الراء ، وهذا الموضع قريب جدا من مخرج النون ، إلا أنه أدخل في ظهر اللسان منه .

١٠ ـ أدنى حافة اللسان (أي أقربها إلى الفم) من أدنى الحافة إلى منتهاها ، وما يقابل ذلك من اللثة (أي لحمة الأسنان العليا التي تشكل أسفل الحنك الأعلى) مخرج اللام ، وتسمى اللام حرفا جانبيا لخروجها من جانبي حافة اللسان ، وتسمى الأحرف الثلاثة السابقة (النون ـ الراء ـ اللام) بـ « الحروف الذَّلَقِيّة » ، نسبة إلى طرف اللسان وهو ذَلَقُه .

١١ ـ طرف اللسان وأصول الثنايا (العليا) وهو مخرج التاء والطاء والدال ، وتسمى هذه المنطقة بالنِّطع ، ومن ثم يطلق على هذه الأحرف مصطلح « الحروف النِّطعيّة » .

١٢ ـ طرف اللسان وأطراف الثنايا ، وهو مخرج الثاء والذال والظاء .

١٣ ـ أسلة اللسان (مستدق طرفه) وفويق الثنايا السفلى مع إبقاء فرجة بينه وبين الثنايا ، وهو مخرج السين والزاي والصاد ، وتسمى هذه الحروف بـ « الحروف الأسَلِيّة » ، نسبة لأسلة اللسان .

١٤ ـ بطن الشفة السفلى مع أطراف الثنايا العليا ، وهو مخرج الفاء ، وهي لذلك حرف أسناني شفوي .

١٥ ـ الشفتان (العليا والسفلى معا) ، وتشكلان مخرجا للباء والواو والميم ، وتسمى لذلك بالحروف الشفوية .

١٦ ـ التجويف الأنفي (الخيشوم) وتخرج منه الغنة وكل من الميم والنون المخفاة ، حيث يتحول كل منهما عن مخرجه الأصلي في الفم إلى مخرج الغنة في الأنف .

١٧ ـ الجوف : وهو خاص بأحرف المد الثلاثة وهي (ا و ي) ، وكذلك بالحركات التي هي أبعاض هذه الحروف من الفتحة والضمة والكسرة ، وستتحدث عن ذلك فيما يلي :

مخرج أحرف المد والحركات

أحرف المد هي :

١ ـ الألف : ولا تكون إلا بعد الفتحة مثل : قال وفاز ، والفتحة في النطق (من جنس) الألف .

٢ ـ الياء : إذا كانت ساكنة بعد كسرة مثل : قيل وحيل ، والكسرة في النطق (من جنس) الياء .

٣ ـ الواو : إذا كانت ساكنة بعد ضمة مثل : يورك ، عوقب ، والضمة في النطق (من جنس) الواو .

أما الحركات فهي الفتحة والكسرة والضمة ، وسميت كل منها حركة لأنها تستغرق في النطق مقدار حركة واحدة ، أي مقدار قبض الإصبع فقط ، أو بسطه فقط ، أما حروف المد فإنها تكون بمقدار حركتين في المد الطبيعي ، وتزيد عن ذلك في المد الفرعي [١] وتعرف هذه الأصوات الستة بالأصوات الصائتة نظراً لوضوحها السمعي ، وفيما يتعلق بمخرج هذه الأصوات فقد ذكر بعض علماء التجويد أن لها مخرجا يعدونه المخرج السابع عشر وهو الجوف ، ونسبوا إليه حروف المد الثلاثة ، وهي الألف وواو المد وياء المد ، وذكروا أنه أوسع المخارج ، وأشار علماء الأصوات إلى العلاقة الوثيقة بين ألف المد والفتحة ، وياء المد والكسرة ، وواو المد والضمة ، وكانوا يسمون الفتحة الألف الصغيرة ، والكسرة الياء الصغيرة ، والضمة الواو الصغيرة ، مما يعني وحدة المخرج لكل من الألف والفتحة ، أي أنهما من جنس واحد ، وكذلك كل من الياء والكسرة ، والواو والضمة .

إنه إذا كان مبدأ هذه الأحرف هو الجوف فعلا كما قال القدماء ، إلا أن للسان والشفتين دخلاً كبيراً في تشكيل مخرج لكل منها ، فعند النطق بواو المد أو الضمة يرتفع مؤخر اللسان ، وتضم الشفتان انضماما تاما ، وعند النطق بياء المد أو الكسرة يرتفع مقدم اللسان وتنكسر الشفتان [٢] تماما ، أما عند النطق بألف المد أو الفتحة فإن كانتا مفخمتين

---

(١) انظر : أحكام القصر والمد ص ٨٢ .

(٢) عبر المحدثون من الصوتيين العرب بالانفراج بدلا من الانكسار للشفتين عند نطق الكسرة ، كما عبروا بالاستدارة بدلا من الانضمام ، ولا نرى داعيا لتغيير --

انخفض مؤخر اللسان ، وإن كانتا مرققتين انخفض مقدم اللسان ، وتكون الشفتان مع الجميع في وضع انفتاح ، وقد قسم المحدثون هذه الأصوات (أي الحركات وحروف المد) باعتبار الموضع الأفقي للسان إلى :

١ ـ حركات أمامية ، وهي : الكسرة / ياء المد ، والفتحة المرققة / ألف المد المرققة .

٢ ـ حركات خلفية ، وهي : الضمة / واو المد ، والفتحة المفخمة / ألف المد المفخمة .

وقسموها باعتبار الوضع الرأسي للسان إلى :

١ ـ حركات ضيقة (وذلك نظرا لارتفاع اللسان نحو أعلى الفم ومن ثم تضييق المسافة التي يخرج منها الهواء ، وهي : الكسرة والضمة وياء المد وواو المد .

٢ ـ حركات متسعة وهي الفتحة بنوعيها (المرققة والمفخمة) ، وكذلك ألف المد بنوعيها (المرقق والمفخم) .

أما باعتبار وضع الشفتين فقد انقسمت هذه الحركات إلى :

١ ـ حركات مستديرة ، وهي : الضمة وواو المد .

٢ ـ حركات منفرجة ، وهي : الكسرة وياء المد .

٣ ـ حركات مفتوحة أو محايدة ، وهي : الفتحة وألف المد بنوعيهما (المرقق والمفخم) [١] .

= مصطلح القدماء طالما أنه يوفي بالغرض .

(١) انظر تفصيلات هذه التقسيمات في كتابنا السابق ص ٦٨ وما بعدها .

صفات الحروف

قد يتفق حرفان أو أكثر في مخرج واحد ، وذلك مثل الحاء والعين (من وسط الحلق) ، والتاء والدال والطاء (طرف اللسان وأصول الثنايا) ، فكيف يتميز أحد الحروف عن الآخر ؟ .

يتميز كل حرف عن الآخر بصفة من الصفات ، وربما بأكثر من صفة ، وسنلقي الضوء فيما يلي على صفات الحروف العربية التي يحدث بها هذا التمايز ، وهي تنقسم إلى قسمين : صفات لازمة ، وصفات عارضة .

الصفات اللازمة

هي تلك الصفات التي لا بد وأن يتصف بها الحرف ، وهي تُكَوِّن في مجموعها حزمة مترابطة لا تقوم ذات الحروف بدونها ، وذلك مثل الجهر والشدة والانفتاح بالنسبة للباء ، ومثل الهمس والرخاوة والإطباق والصفير بالنسبة للصاد ، وهذه الصفات اللازمة تنقسم إلى قسمين :

أ ـ الصفات اللازمة المتضادة .

ب ـ الصفات اللازمة غير المتضادة .

أولا : الصفات اللازمة المتضادة

وهي الصفات التي لا بد أن يوجد في كل حرف صفة واحدة فقط من كل مجموعة ، وهذه المجموعات هي :

أ ـ الجهر وضده الهمس :

معنى الجهر : أن تهتز الأحبال الصوتية التي في الحنجرة عند النطق بالصوت ، وذلك مثل الزاي والراء .

أما الهمس : فهو ألا تهتز هذه الأوتار عند النطق بالحرف ، مثال ذلك : السين والصاد .

وتتعلق هاتان الصفتان باهتزاز الأحبال الصوتية الموجودة بالحنجرة ، ويؤثر ذلك على قوة التصويت في حالة الجهر ، وضعفه في حالة الهمس .

الحروف العربية بين الجهر والهمس

الحروف المهموسة الحروف المجهورة	س ك ت ف ح ث هـ ش خ ص بقية الحروف	سكت فحثه شخص كل ما عدا الحروف المهموسة

ملحوظة : اختلف نطق صوتين في كثير من اللهجات العربية المعاصرة من حيث الجهر والهمس عن نطقهما في العربية الفصحى ، وهذان الحرفان هما : القاف والطاء .

الجهر والهمس عند القدماء

عرف القدماء الجهر بأنه قوة التصويت بالحرف لقوة الاعتماد عليه في المخرج حتى منَعَ جَرَيَانَ النَّفَس معه ، ولا شك أن قوة التصويت ناتجة عن اهتزاز الأحبال الصوتية ، والمراد بالنَّفَس هنا الهواء الخالي عن التذبذب .

أما الهمس فقد عُرِّف بأنه : ضعف التصويت بالحرف لضعف الاعتماد عليه في المخرج حتى يجري معه النَّفَس ، وضعف التصويت ناتج عن عدم اهتزاز الأحبال الصوتية .

ب ـ الشدة والرخاوة والتوسط :

مَرَدُّ هذه الصفات الثلاث هو درجة إعاقة الهواء .

فالحرف الشديد : هو الذي يعاق معه الهواء إعاقة تامة ، وذلك مثل الدال والتاء بسبب الضغط على مخرج الحرف .

الحرف الرِّخو : هو الذي يعاق معه الهواء إعاقة جزئية ، وذلك مثل السين والصاد [١] .

الحرف المتوسط : هو الذي يعاق معه الهواء في مكان ما ، ويسمح له بالمرور من مكان آخر ، وذلك مثل الميم المظهرة التي يعاق معها الهواء عند الشفتين ، ويسمح له بالمرور من الأنف .

والحروف الشديدة هي : أ ، ج ، د ، ت ، ط ، ب ، ق ، ك (أجِدُكَ قطَبْتَ) أو (أجد قط بكت) .

الحروف المتوسطة هي : ل ، ن ، ع ، م ، ر (لِنْ عُمَر) .

والحروف الرخوة : هي : كل ما عدا ذلك من الحروف .

ج ـ الإطباق وضده الانفتاح :

معنى الإطباق كما يقول أبو عمرو الداني : أن تطبق اللسان على

---

(١) عرف علماء التجويد الشدة بأنها : لزوم الحرف لموضعه لقوة الاعتماد عليه في المخرج حتى حبس الصوت عن الجريان معه ، وهذه العبارة الأخيرة (حبس الصوت) تعني الإعاقة التامة للهواء المكون للحرف ، أما الرخاوة فقد عرفت بأنها : ضعف لزوم الحرف لموضعه لضعف الاعتماد عليه في المخرج حتى جرى معه الصوت ، وجريان الصوت معناه أن إعاقة الهواء ليست قوية ، ومن ثم فإنه يسمح للهواء بالمرور من بين عضوي النطق .
أما التوسط فهو : كون الحرف منطوقا بصفة بين الشدة والرخاوة بحيث ينحبس بعض الصوت ويجري بعضه .

الحنك [١] ، وقال أبو الفتح عثمان بن جني : هو أن ترفع ظهر لسانك إلى الحنك الأعلى مطبقا له ، ويكون ذلك عند الصاد والضاد والطاء والظاء [٢] ، يقول مكي بن أبي طالب : « وإنما سميت هذه الحروف الأربعة بحروف الإطباق ؛ لأن طائفة من اللسان تنطبق مع الريح إلى الحنك عند النطق بها ، وتنحصر الريح بين اللسان والحنك الأعلى عند النطق بها مع استعلائها في الفم ، وبعضها أقوى في الإطباق من بعض ، فالطاء أقواها إطباقا ، والظاء أقلها ، والصاد والضاد أوسطها » [٣] ، وهكذا فإنه عند الإطباق يرتفع مؤخر اللسان ويتقعر بحيث ينحصر الصوت في هذه المنطقة المقعرة التي يطبق اللسان عليها ، وهذا الإطباق لا بد معه من الاستعلاء والتفخيم .

أما الانفتاح : فيعني ألا ينطبق اللسان على الحنك ، يقول سيبويه : « والمنفتحة كل ما سوى ذلك من الحروف (أي ما عدا حروف الإطباق) لأنك لا تطبق لشيء منهن لسانك » [٤] ، وهذا الانفتاح لا بد أن يصحبه استفال ، وسنعرض لذلك فيما يلي :

د ـ الاستعلاء وضده الاستفال :

الاستعلاء : هو تفخيم الحرف عند النطق به نتيجة استعلائه (أي ارتفاع مؤخر اللسان) عند نطق الحرف ، فإذا قلت : (أخْ ، أضْ ، أغ ، أظْ) وجب أن تفخم النطق بالحرف حتى يرتفع اللسان والمخرج إلى

---

(١) التحديد لأبي عمرو الداني ص ٢٢٧ ، تحقيق : أحمد عبد التواب .

(٢) سر صناعة الإعراب لابن جني ١/ ٦٠ ، ولم يذكر ابن الجزري في النشر ولا ابن الباذش في الإقناع تعريفا للإطباق مكتفين بذكر حروف الإطباق .

(٣) الرعاية لمكي بن أبي طالب ١٢٢ (بتصرف) .

(٤) الكتاب لسيبويه ٤/ ٤٣٦ .

الأعلى (فسمي استعلاء) ، ويحدث ذلك مع سبعة أحرف هي : ص ، ض ، ط ، ظ ، ق ، غ ، خ ، وضابطها « خُصَّ ضَغْطٍ قِظْ » .

الاستفال : هو انخفاض اللسان إلى الأسفل عند نطق الحرف ، فإذا قلت : (أحْ ، أدْ ، أسْ ، أنْ ، أكْ) وغيرها من حروف الاستفال ، وجب أن ترقق النطق بالحرف حتى ينخفض اللسان والمخرج إلى أسفل (فسمي استفالاً لذلك) .

هـ ـ الإصمات وضده الإذلاق :

الإصمات لغة : الإسكات أو المنع من الكلام .

واصطلاحاً : امتناع الحروف المصمتة عن أن تختص ببناء كلمة في لغة العرب حروفها الأصلية أكثر من ثلاثة ، ومعنى ذلك أن أي كلمة تتكون من أربعة أحرف فما فوق ، يمتنع أن تكون أحرفها كلها مصمتة ، بل لا بد أن يكون معها بعض من الحروف المذلقة ، فإذا وجدت كلمة رباعية أو خماسية غير مزيدة وليس فيها حرف مذلق مثل : « عسجد ، إسحاق » ، فذلك دليل على عجمتها في الغالب .

الإذلاق لغة : حدة اللسان أي طلاقته .

واصطلاحا : هو خروج الحرف بسهولة ويسر ، وحروف الإذلاق [1] هي : ف ، ر ، م ، ن ، ل ، ب مجموعة في جملة « فَرَّ مِنْ لُبِّ » .

---

(١) إطلاق مصطلح الإذلاق هنا فيه نوع من التغليب أو التسامح ؛ لأن الباء والميم حرفان شفويان ، وكم كان الخليل بن أحمد مصيبا عندما أسمى هذه المجموعة : الأحرف الذلق والشفوية .

الخلاصة

أن الحروف العربية لا بد وأن يتصف كل منها بواحدة من صفات خمس أو ما يضادها ، وهي :

١ ـ الجهر وضده الهمس ، ويتعلق هذا باهتزاز الأوتار الصوتية .
٢ ـ الشدة وما يضادها من الرخاوة والتوسط ، وهذه أمور تتعلق بدرجة إعاقة الهواء .
٣ ـ الإطباق وضده الانفتاح ، وهذا يتعلق بشكل اللسان .
٤ ـ الاستعلاء وضده الاستفال ، وهذا يتعلق بدرجة ارتفاع اللسان .
٥ ـ الإصمات وضده الإذلاق ، وهذا يتعلق بالبناء الصرفي للألفاظ العربية .

وإذا أضفنا إلى ذلك ما يتعلق بمخرج الحرف أصبحت الخواص الأساسية المتضادة لأي حرف عربي خمسة [١] ، وتعرف الأربعة الأولى منها بالصفات الفارقة ، مثال ذلك أن نقول : صوت الباء حزمة مترابطة من :

١ ـ الشفوية (وهذه متعلقة بالمخرج) .
٢ ـ الشدة (وهذه متعلقة بدرجة الإعاقة) .
٣ ـ الجهر (وهذه متعلقة باهتزاز الأحبال الصوتية) .
٤ ـ الانفتاح (وهذه متعلقة بشكل اللسان) .
٥ ـ الاستفال (وهي الصفة المتعلقة بدرجة ارتفاع اللسان) .

---

(١) لا يعتد بالإصمات هنا صفة من صفات الحروف العربية ، لأنها لا تتعلق بنطق حرف ، وإنما ببنية الكلمة العربية .

وهكذا يمكن القول بأن السين حرف أسلي (من حيث المخرج) ، مهموس (من حيث الاهتزاز) ، رخو (من حيث الإعاقة) ، منفتح (من حيث شكل اللسان) ، مستفل (من حيث درجة الارتفاع) ، وهكذا ، أما الإصمات والإذلاق فلا علاقة لهما بالجانب الصوتي .

ثانيا : الصفات اللازمة غير المتضادة

وهي تلك الصفات التي تلازم بعض الحروف فقط دون بقيتها ، وهذه الصفات هي [١] :

١ ـ الصفير : عرفه علماء التجويد بأنه صوت حاد يشبه صوت الطائر يصاحب النطق بكل من السين والصاد والزاي ، والسبب في ذلك هو التضييق الشديد لمر الهواء الذي ينجم عنه هذا الصوت الحاد المعروف بالصفير .

٢ ـ اللين : ومعناه خروج الحرف من مخرجه من غير كلفة على اللسان (وذلك لاتساع مجرى الهواء) ، وحروف اللين هي : الواو والياء الساكنتان بعد حركة غير مجانسة لهما كما في : يَوْم ، بَيْت (الفتحة من جنس الألف ، والكسرة من جنس الياء ، والضمة من جنس الواو) [٢] .

---

(١) أضاف بعض العلماء القلقلة إلى هذه الصفات ، وليس الأمر كما زعم ، لأن القلقلة إنما تعرض للحرف إذا كان ساكنا فقط ، فإذا تحرك الحرف فلا قلقلة ، وقد تناولنا ذلك في القسم الخاص بالصفات العارضة .

(٢) يقول أبو الفتح عثمان بن جني في مقدمة كتابه « سر صناعة الإعراب » : وكان قدامى النحويين يسمون الفتحة : الألف الصغيرة ، والضمة : الواو الصغيرة ، والكسرة : الياء الصغيرة ، وقد كانوا في ذلك على طريق مستقيمة » ، ومن المعروف أن كلا من الواو والياء الساكنتين قد تأتيان بعد حركة مجانسة أو غير مجانسة ، أما الألف فلا تأتي إلا بعد الفتحة ، أي بعد حركة مجانسة فقط .

٣ ـ الانحراف : ويعني ميل الحرف بعد خروجه إلى مخرج غير مخرجه ، ويكون ذلك في اللام (إجماعا) ، ويكون أيضا في الراء (على الأصح) ، فاللام تنحرف إلى طرف اللسان ، والراء تنحرف إلى ظهره .

٤ ـ التكرار : وهو ارتعاد طرف اللسان عند النطق بالحرف ، ولا يكون إلا في الراء .

٥ ـ التفشي : ويعني انتشار الهواء (المحمل بالذبذبات الصوتية) في الفم عند النطق بالحرف ، وله حرف واحد هو الشين .

٦ ـ الاستطالة : ويراد بها امتداد (مخرج) الحرف من أول حافة اللسان إلى آخرها ، وهي صفة الضاد [١] .

تنبيه : بعض الصفات التي لا ضد لها قد يكون لازما في بعض الأحيان ، وعارضا في أحيان أخرى ، وذلك مثل الغنة والتفخيم والترقيق ، وستناول ذلك ضمن الصفات العارضة ، وذلك على النحو التالي :

الصفات العارضة :

إضافة إلى الصفات السابقة التي يجب أن يتصف كل حرف بصفة واحدة من كل مجموعة منها ، فإن هناك صفات أخرى تعرض لبعض الحروف في بعض الأحيان ، ومن هذه الصفات ما يتعلق بالحروف

---

(١) أضاف بعض العلماء إلى هذه الصفات صفتين أخريين ، هما : الغنة ، وستعرض لها في الصفات العارضة ؛ لأنها تسقط عند إدغام النون في اللام والراء ، والصفة الأخرى هي الخفاء بمعنى ضعف الصوت وجعلوه صفة للألف والواو والياء والهاء .

الصحاح فقط مثل : الإدغام والإقلاب ، ومنها ما يتعلق بحروف المد واللين مثل : المد والقصر والإمالة ، ومنها ما يتعلق بالنوعين معا مثل : التفخيم والترقيق ، وهذه الصفات هي :

١ ـ الغنة ، وهي تتعلق بكل من الميم والنون .

٢ ـ الإدغام ، وهو يتعلق بالحروف الصحاح في المثلين والمتقاربين والمتجانسين .

٣ ـ الإظهار ، وهو يتعلق بالنون الساكنة والتنوين والميم الساكنة .

٤ ـ الإخفاء ، وهو يتعلق أيضا بالنون الساكنة والتنوين إذا جاء بعدهما حرف من حروف الإخفاء التي ستتحدث عنها فيما بعد ، ويتعلق أيضا بالميم إذا جاء بعدها الباء .

٥ ـ الإقلاب ، وهو يتعلق بالنون الساكنة والتنوين إذا جاءت بعدهما باء .

وتعرف الصفات الأربعة الأخيرة بـ « أحكام النون الساكنة والتنوين » ، كما تعرف صفات الإدغام والإظهار والإخفاء بـ « أحكام الميم الساكنة » ، وستتحدث عنها جميعا من خلال أحكام كل من النون الساكنة والتنوين ، وكذلك أحكام الميم الساكنة .

٦ ـ القلقلة ، وهي تختص بحروف « ق ط ب ج د » إذا كن سواكن .

٧ ـ التفخيم والترقيق ، أما التفخيم فيكون صفة لازمة لحروف الاستعلاء (خص ضغط قظ) ، ويكون صفة عارضة في كل من ألف المد واللام والراء ، لأن الحروف الثلاثة كما يعرض لها التفخيم في بعض

الحالات ، يعرض لها الترقيق في حالات أخرى ، وفيما عدا هذه الأحرف العشرة فإن الترقيق صفة لازمة له ، وسنعرض لذلك تفصيلا في مبحث التفخيم والترقيق .

٨ ـ القصر والمد ، وهما يتعلقان بأحرف المد واللين ، أي لألف المد وواو المد وياء المد ، وأيضا لكل من الواو والياء اللينتين (الساكنتين بعد حركة غير مجانسة) .

٩ ـ الإمالة ، وهي تتعلق بألف المد عندما ينحى بها ناحية الياء ، وبالفتحة عندما ينتحى بها ناحية الكسرة [٢] .

إن إحكام النطق بهذه الصفات العارضة التي هي مستحقات الحروف ، أي التي تعرض لها حالة التركيب هي لُبُّ التَجْويد وأساسه ، ومن حصَّلها وأحكم صحة التلفظ بها ، فقد حصل حقيقة التجويد كما قال الإمام السيوطي [١] ، وسنعرض لهذه الصفات بشيء من التفصيل في الصفحات التالية .

* * *

---

(١) انظر : الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ١/ ١٠١ .

(٢) انظر النص الثاني الذي اقتبسناه من كتاب « النشر في القراءات العشر » لابن الجزري ، وقد فصل ـ رحمه الله ـ أسباب هذه الإمالة في المواضع التي تعرض فيها .

الغنة

الغُنَّة : صوت الهواء الخارج من الأنف عند نطق النون والميم بمقدار حركتين ، مثل : « إنّ ، أمّا ، الأنثى ، إن نشأ ، كم من فئة ، من وال ، فانصب ، فاحكم بينهم ، ينهون ، ينادون » .

وقد عرفها العلماء بأنها : صوت أغن مركب في جسم النون ولو تنوينا والميم مطلقا .

مراتب الغنة :

لو تأملنا الأمثلة السابقة لوجدنا أن الغنة في النون والميم ليست على درجة واحدة من حيث اكتمال الغنة وظهورها ، وهنا تحدث العلماء عن مراتب الغنة من حيث الظهور والاكتمال ، فذكروا خمس مراتب متفق عليها ، وهي :

المرتبة الأولى : النون والميم المشددتان حيثما وقعتا (أي عند النطق بالنون أو الميم المشددتين) ، تظهر الغنة في أي مكان وقعتا فيه مثل : « إنّ ، أمّا ، عمّ »[1] .

المرتبة الثانية : النون الساكنة والتنوين عند إدغامها في النون والميم والياء والواو .

المرتبة الثالثة : الميم الساكنة عند إدغامها في الميم .

المرتبة الرابعة : النون الساكنة والتنوين عند إخفائها في خمسة

---

(١) القول بغنة النون الساكنة المظهرة والتنوين المظهر ، وكذلك النون المتحركة ، وأيضا غنة الميم الساكنة المظهرة والمتحركة هو قول الجمهور ، ولم يذكر الإمام الشاطبي ذلك لسقوط كمال الغنة في هذه الحالات ، وهذا لا ينفي أن أصل الغنة موجود عنده . انظر : هداية القاري ١/ ١٧٧ .

عشر حرفا ـ كما سيأتي ـ .

المرتبة الخامسة : الميم الساكنة عند إخفائها في الباء .

وقد اختلف العلماء في مرتبتين أخريين ، هما :

المرتبة السادسة : وتتعلق بالنون الساكنة أو التنوين المظهرين ، وكذلك بالميم الساكنة المظهرة كما في : ينهون ، سلامٌ هي ، أنعمت .

المرتبة السابعة : وتتعلق بالنون والميم المتحركتين كما في : نَهَر ، مَرَج .

* * *

الإدغام

الإدغام في اللغة : يعني إدخال شيء في شيء .

وفي الاصطلاح : إدخال حرف ساكن في آخر متحرك بحيث يصيران حرفا واحدا مشددا يرتفع عنه اللسان ارتفاعة واحدة ، أي إدخال الحرف الأول في الحرف الثاني بحيث يصيران حرفا واحدا مشددا من جنس الثاني ، وذلك مثل إدغام النون في حروف « يرملون » ، وإدغام لام التعريف في النون في قوله تعالى : ﴿ النبأ ﴾ ، وإدغام الدال في التاء في مثل : ﴿ قَد تَّبَيَّن ﴾ .

إن إدغام حرف في آخر يقتضي وجود علاقة وثيقة بين الحرفين (المدغم والمدغم فيه) ، وقد قسم العلماء العلاقة بين الحروف العربية إلى أربعة أنواع ، هي :

١ ـ التباعد . ٢ ـ التماثل .

٣ ـ التجانس . ٤ ـ التقارب .

والمراد بالتباعد : اختلاف الحرفين مخرجا وصفة ، وهذه العلاقة تمنع الإدغام ، وذلك مثل النون والهاء في قوله سبحانه وتعالى : ﴿ يَنْهَون عنه ﴾ .

أما التماثل فالمراد به اتفاق الحرفين مخرجا وصفة ، وذلك كأن تلتقي نونان أو ميمان أو نحو ذلك ، بحيث تكون الأولى ساكنة والأخرى متحركة ، وهذه العلاقة توجب الإدغام .

وأما التجانس فيراد به أن يتفق الحرفان في المخرج ، ويختلفا في الصفة ، وذلك مثل الدال والتاء والطاء .

وفيما يتعلق بالتقارب فإن المراد به أن يتقارب الحرفان في المخرج والصفة أو في أحدهما ، وذلك مثل « الدال والسين ، واللام والتاء » .

وقبل أن نتحدث عن الإدغام في الحالات الثلاث الأخيرة (التماثل ، والتجانس ، والتقارب) ، نشير إلى شروط تحقق الإدغام ، في الفقرة التالية :

شروط الإدغام

إذا كانت علاقة التباعد بين الحرفين تمنع الإدغام ، فإن علاقات التماثل والتجانس والتقارب تؤدي إلى هذا الإدغام ، وذلك إذا تحققت الشروط التالية :

١ ـ أن يكون أول الحرفين ساكنا والثاني متحركا [١] .

٢ ـ ألا يكون الحرف الساكن من حروف المد ، وذلك حتى لا يذهب الإدغام بالمد ، ومن ثم يمتنع الإدغام في نحو قول الله تعالى : ﴿ الذي يوسوس في صدور الناس ﴾ ؛ لأن الياء الساكنة في الذي من حروف المد .

٣ ـ ألا يفصل بين الحرفين بوقف أو سكت [٢] ، ولذلك لم تدغم اللام في الراء في قوله تعالى : ﴿ كَلاَّ بَلْ رَانَ ﴾ بسبب هذا السكت ، وأيضا فإنه لا يدغم أيٌّ من النون أو التنوين إذا وقف على أي منهما .

---

(١) يعرف هذا النوع عند القراء بالإدغام الصغير ، أما إذا كان الحرف الأول متحركا فإن إدغامه في حرف متحرك مثله قد أخذ به أبو عمرو بن العلاء (وذلك بعد حذف حركة الحرف الأول) ، وهو ما يعرف بالإدغام الكبير ، ولم يرد منه شيء في قراءة حفص عن عاصم .

(٢) انظر في معنى كل من الوقف والسكت : الباب الثاني من هذا الكتاب ص ١٠٨ ، ١١٨ .

قواعد الإدغام

تختلف هذه القواعد باختلاف العلاقة بين الحرفين المدغم والمدغم فيه ، فإذا كان الحرفان متماثلين فإن لهما أحوالا وقواعد تختلف عنهما إذا كانا متجانسين أو متقاربين ، ولذا سنتحدث عن كل نوع فيما يلي :

إدغام المثلين

المثلان هما ـ كما ذكرنا آنفا ـ : كل حرفين اتفقا مخرجا وصفة ، كالميمين ، والنونين ، واللامين ، وهكذا ، وهو ينقسم إلى قسمين :

الأول : إدغام تصحبه الغنة : وهو إدغام النون الساكنة أو التنوين ، وكذلك الميم في مثلها ، وذلك كما في قوله تعالى : ﴿ فلن نزيدكم ﴾ ، وقوله عز وجل ﴿ والله من ورائهم محيط ﴾ ، وقوله سبحانه : ﴿ عاملةٌ ناصبة ﴾ بإدغام نون التنوين في نون ناصبة .

الثاني : إدغام لا تصحبه الغنة ، وهو إدغام بقية الحروف ، وعلامته وضع (علامة الشدة) على الحرف المدغم فيه ، وترك علامة السكون في الحرف المدغم كما في قوله تعالى : ﴿ فما ربحت تّجارتُهم ﴾ [البقرة : ١٦] ، بإدغام تاء ﴿ ربحت ﴾ في تاء ﴿ تجارتهم ﴾ ، وقوله سبحانه : ﴿ هَل لَّكَ إلى أن تَزَكَّى ﴾ [النازعات : ١٨] بإدغام لام هل في لام لَكَ .

وقاعدة هذا النوع من الإدغام أنه : إذا التقى حرفان متماثلان ، وكان الأول منهما ساكنا ولم يكن حرف مد ، ولم يفصل بينهما بسكتة أو وقف ، فإنه يدغم الأول في الثاني بحيث يرتفع بهما اللسان ارتفاعة واحدة ويصيران حرفا واحدا مشددا .

إدغام المتجانسين

المراد بالمتجانسين ـ كما ذكرنا قبلا ـ : كل حرفين اتفقا مخرجا واختلفا صفة ، وذلك مثل الدال والتاء والطاء ، والذال والثاء والظاء (انظر : مخارج الحروف ص ٢٤) .

ومن أمثلة هذا الإدغام :

الدال في الظاء : ﴿ إذ ظّلموا ﴾ [النساء : ٨٤] .

الدال في التاء : ﴿ قد تّبين ﴾ [البقرة : ٢٥٦] .

التاء في الدال : ﴿ فلما أثقلت دّعوا الله ربهما ﴾ [الأعراف : ١٨٩].

الطاء في التاء : ﴿ لئن بَسَطْتَ ﴾ [المائدة : ٢٨] .

ويدخل في هذا النوع إدغام النون في كل من اللام والراء عند من قال بوحدة المخرج في الحروف الثلاثة [١] ، وسنوضح ذلك في الأحكام الخاصة بالنون الساكنة والتنوين .

وقاعدة هذا النوع من الإدغام : إذا التقى أحد الحرفين المتجانسين بالآخر وكان الأول ساكناً والثاني متحركاً ولم يفصل بينهما ، أدغم الأول في الثاني بحيث يصيران حرفاً واحداً مشددا من جنس الثاني .

إدغام المتقاربين

المراد بالمتقاربين ـ كما ذكرنا ـ : كل حرفين تقاربا مخرجا وصفة

---

(١) ذهب أبو زكريا الفراء إلى أن كلا من الراء واللام والنون من مخرج واحد ، ومن هنا أطلق عليها الأحرف الذلقية ، ومما يؤكد صحة ما ذهب إليه أن إدغام النون في اللام والراء هو إدغام تام (بدون غنة) ، أما من نظر إلى المخارج التفصيلية للأحرف الثلاثة فإنه يعد الإدغام من قبيل إدغام المتقاربين ، ولا شك أن المسألة اعتبارية نظرا للقرب الشديد لمخرج الصوت بين النون وكل من اللام والراء . انظر : هداية القارئ ١/ ٢٤٣ .

أو في أحدهما ، ويحدث هذا الإدغام في قراءة حفص عن عاصم في الحالات الآتية :

١ ـ لام « بل » [١] ، وكذلك لام الفعل الساكنة في الراء المتحركة بعدهما كما في قوله : ﴿ بَل رَّفَعَهُ الله إِلَيْهِ ﴾ [النساء : ١٥٨] ، وقوله سبحانه : ﴿ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا ﴾ [المؤمنون : ٢٩] .

٢ ـ القاف الساكنة في الكاف في قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ نَخْلُقكُّم من مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴾ [المرسلات : ٢٠] .

٣ ـ النون الساكنة أو التنوين في الميم والواو والياء ، وقد ذهب الجمهور إلى أن إدغام النون الساكنة والتنوين في اللام والراء هي أيضا من إدغام المتقاربين ، نظرا لأن مخارجها التفصيلية مختلفة ، ومن ذهب من العلماء إلى القول بوحدة المخرج العام لهذه الأحرف الثلاثة وهو ذلق اللسان ، يكون الإدغام عنده من قبيل التجانس [٢] .

٤ ـ لام « ال » ويعرف بالإدغام الشمسي ، وحروفه ثلاثة عشر حرفا هي : الطاء ، الثاء ، الصاد ، الراء ، التاء ، الضاد ، الدال ، النون ، الذال ، السين ، الظاء ، الزاي ، الشين .

فإذا أضفنا إلى هذه الثلاثة عشر حرف اللام الذي هو من إدغام المتماثلين أصبحت حروف الإدغام الشمسي أربعة عشر حرفا جمعها بعضهم في أوائل كلمات البيت التالي :

---

(١) يتحدث بعض العلماء عادة عن إدغام لام « بل » ولام « هل » ، والحقيقة أنه لا يوجد في المصحف الشريف لفظ « هل » وبعده راء حتى نذكرها هنا ، أما إدغام لام هل في لام بعدها فهو من إدغام المثلين (انظر إدغام المثلين في الفقرة السابقة) .

(٢) انظر : الهامش بالصفحة السابقة .

طب ثم صل رحما تفز ضف ذا نعم
دع سوء ظن زر شريفا للكرم

ومن أمثلة ذلك : الطيب ـ الثمر ـ الصلة ـ الرحم ـ التوبة ـ الضيف ـ اللذب ـ النعمة ـ الدعاء ـ السوء ـ الظن ـ الزيارة ـ الشرف ـ الله (جل جلاله) .

فإذا جاء بعد لام التعريف حرف آخر ظهرت هذه اللام ، وتعرف في الحالة الأولى أي في حالة إدغامها بـ « اللام الشمسية » ، وتعرف في الحالة الثانية وهي حالة الإظهار بـ « اللام القمرية » ، والحروف التي تظهر عندما جمعها بعضهم في قوله : « ابغ حجك وخف عقيمه » ، ومن أمثلة ذلك : « الفصل ، الجبال ، الحافرة ، المقدس » .

والخلاصة : أن لام التعريف (لام ال) لها حالتان :

١ ـ الإدغام وذلك مع أربعة عشر حرفا هي : اللام ، الطاء ، الثاء ، الصاد ، الراء ، التاء ، الضاد ، الذال ، النون ، الدال ، السين ، الظاء ، الزاي ، الشين .

٢ ـ الإظهار ، ويكون مع باقي الحروف .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الألف في « ال » هي ألف وصل [١] ، ولذلك وضعت فوقها رأس خاء صغيرة هكذا « ٱ » ، ومعنى ذلك أن هذه الألف تسقط عند الوصل وتنطق همزة إذا كانت في ابتداء القراءة ، أو عند الوقف على ما قبلها ، وتختلف هذه الألف عن سائر ألفات الوصل بأنها تكون همزة مفتوحة دائما عند ابتداء النطق بها .

---

(١) تسمى هذه الألف أيضا بهمزة الوصل ، وقد سميت بذلك لأنه يتوصل بها إلى النطق بالساكن الذي بعدها وهو هنا لام التعريف ، أي لام « ال » .

قاعدة إدغام المتقاربين

إذا التقى حرفان متقاربان في المخرج والصفة أو في المخرج دون الصفة ، أو في الصفة دون المخرج دون فاصل من وقف أو سكت ، وكان الحرف الأول ساكنا والثاني متحركا ، أدغم الأول في الثاني ، وصار الحرفان حرفا واحدا مشددا من جنس الثاني .

تنبيه : لا يجري إدغام المتقاربين في كل الحروف المتقاربة ، بل هناك حروف معينة يجري فيها ، هي :

١ ـ اللام الساكنة في الراء .

٢ ـ النون الساكنة أو التنوين في الميم والواو والياء ، وكذلك في اللام والراء عند من يقول بتعدد المخرج لكل من النون والراء واللام .

٣ ـ لام التعريف في الحروف الثلاثة عشر التي ذكرناها آنفا .

٤ ـ القاف الساكنة في الكاف في قوله تعالى : ﴿ ألم نَخْلُقكُّم من ماء مهين ﴾ [المرسلات : ٢٠] .

أنواع الإدغام من حيث الكمال والنقصان

الإدغام يكون تاما وكاملا إذا فنى الحرف الأول (المدغم) في الحرف الثاني (المدغم فيه) فناء تاما ، وتخلى بذلك عن مخرجه وصفته للحرف الذي يليه ، وقد عبر علماء الأداء عن هذا النوع من الإدغام بقولهم :

١ ـ الإدغام الكامل : هو سقوط المدغم ذاتا (مخرجا) وصفة بإدخاله في المدغم فيه بحيث يصيران حرفا واحدا مشددا تشديدا كاملا ، ومن أمثلته :

ـ إدغام التاء في الطاء في نحو قوله تعالى : ﴿ فآمنت طائفة ﴾ [الصف : ١٤] .

ـ إدغام اللام في الراء في نحو قوله تعالى : ﴿ وقل ربِّ زدني علما ﴾ .

ـ إدغام النون أو التنوين في الراء في نحو قوله تعالى : ﴿ جزاء من ربّك ﴾ ، ومثال التنوين قوله سبحانه : ﴿ حساباً رّب السموات ﴾ .

ـ النون أو التنوين في اللام في نحو قوله تعالى : ﴿ من لّدنه ﴾ .

وعلامة هذا النوع من الإدغام في المصحف الشريف : تعرية الحرف المدغم عن السكون مع وضع شدة على الحرف المدغم فيه .

٢ ـ الإدغام الناقص : هو أن يتخلى الحرف الأول المدغم عن مخرجه وبعض صفاته ، ويحتفظ بالبعض الآخر ، وهو ما عبر عنه علماء الأداء بقولهم : « حد الإدغام الناقص سقوط المدغم ذاتا لا صفة ، وبذلك يصير الحرفان حرفاً واحداً مشدداً تشديداً ناقصا ، وذلك من أجل بقاء صفة المدغم التي حالت دون الإدغام التام » .

وعلامة هذا النوع من الإدغام : تعرية الحرف المدغم عن السكون فقط (دون وضع شدة على الحرف المدغم فيه) ، ومن أمثلة ذلك :

ـ إدغام الطاء في التاء (مع بقاء صفة الإطباق) في قوله تعالى : ﴿ لَئن بَسَطتَ ﴾ [المائدة : ٢٨] ، وفي قوله تعالى : ﴿ ما فَرَّطتُمْ في يُوسُفَ ﴾ [يوسف : ٨٠] ، وفي قوله تعالى : ﴿ أَحَطتُ ﴾ [النمل : ٢٢] وفي قوله تعالى : ﴿ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ ﴾ [الزمر : ٥٦] .

ويلاحظ عدم قلقلة الطاء في هذه المواضع بسبب إدغام الطاء في التاء إدغاماً ناقصاً .

- إدغام النون الساكنة أو التنوين (مع بقاء الغنة) في الواو والياء ، وسنذكر ذلك بتفصيل أكثر في حديثنا التالي عن أحكام النون الساكنة والتنوين ، وهذه الأحكام تتضمن أيضا صفات الإظهار والإخفاء والإقلاب باعتبارها صفات تعرض للنون الساكنة والتنوين في بعض الأحوال دون بعض .

• • •

أحكام النون الساكنة [١]

لقد جرت عادة المؤلفين أن يقرنوا النون الساكنة بالتنوين عندما يذكرون الأحكام الأدائية الخاصة بالنون الساكنة ، ولعل الذي دفعهم إلى اعتبارهما شيئين لا شيئا واحدا هو مراعاة الفرق الوظيفي بين النون باعتبارها وحدة صوتية Phoneme تدخل في بناء الكلمة ، مثلها في ذلك مثل الباء أو الميم أو أي حرف آخر ، والنون الساكنة باعتبارها وحدة صرفية Morpheme ، أو بالأحرى وحدة صوتية وصرفية في آن واحد Morphophonem [٢] ، وربما كان لطريقة الكتابة العربية دخل في هذا الاعتبار ، إذ جعلت للنون عندما تكون حرف مبني ، أي عندما تكون داخلة في بناء الكلمة رمزا معينا ولم تجعل لنفس النون عندما تكون حرف معنى ، أي عندما تلحق أواخر الكلمات المعربة للدلالة على التنكير أو غيره من الوظائف [٣] ، أي رمز مستقل إلا بأخرة ، وعندما حدث ذلك كان رمز التنوين مختلفا كل الاختلاف عن الرمز الكتابي للنون [٤] ، وربما كان السبب في عدم تسجيل رمز كتابي لنون التنوين

---

(١) نقصد بالنون الساكنة هنا ما يشمل نون التنوين ، وإذا كان الفصل بينهما جائزا في مجال الصرف أو النحو ، فليس الأمر كذلك في مجال الأصوات .

(٢) المراد بالوحدة الصرفية ما يدل على معنى مستقل في الكلمة مثل نون التنوين هذه ، إذ تدل عادة على التنكير ، ومثل « ال » الدالة على التعريف . انظر في هذه المصطلحات وغيرها : كتابنا مدخل إلى علم اللغة الحديث ص ١٢٠ وما بعدها .

(٣) من وظائف التنوين في العربية عدا التنكير وظائف التمكين والعوض والمقابلة .

(٤) وقد حدث ذلك عندما وضعت رموز للضمة والفتحة والكسرة ، وكان رمز التنوين هو الفتحتان أو الكسرتان ، بمعنى أن الفتحتين تعنيان : الفتحة + التنوين ، والكسرتين : الكسرة + التنوين ، وهكذا ، أما في الضمة فقد رمز للمضموم المنون برمز واو فوقها نون مقلوبة في حالة الإظهار ، أما في حالة الإخفاء فيرمز بواوين صغيرتين متجاورتين .

منذ البداية هو أن الكتابة العربية كانت تسجل الكلمات في حالة الوقف ، لا في حالة الوصل [١] ، ولما كانت نون التنوين هذه تسقط في الوصل لم يخصوها برمز معين .

أما فيما يتعلق بالدرس الصوتي الحديث ، فإنه لا يوجد فرق على الإطلاق في الخصائص الصوتية لكلا نوعي النون ، أي النون الساكنة ونون التنوين ، ولهذا آثرنا أن نعالجهما معا كشيء واحد ، لا كشيئين مختلفين .

إنه لحري بنا قبل أن نعرض لأحكام النون الساكنة وهي في السياق أن نوضح صفاتها الفارقة distinctive fuetures ، وهي مجردة عنه ، أي عندما تكون مفردة ، ليظهر مدى احتفاظها أو فقدها لهذه الصفات أو بعضها ، ويتضح السبب الصوتي الذي يدعو إلى ذلك .

النون المفردة

صوت أسناني لثوي أنفي مجهور منفتح ، وهذا يعني أن لها صفات فارقة أربع ، هي :

١ ـ كونها أسنانية لثوية ، وهذه صفة المخرج ، وتعني أن عائق الهواء أو العقبة التي تعترض طريقه تتكون نتيجة اتصال طرف اللسان بأصول الثنايا العليا .

٢ ـ كونها صوتا أنفيا ، وذلك أن الهواء عندما يعاق طريقه في الفم فإنه يجد متسربا له من الأنف .

٣ ـ كونها مجهورة ، أي تهتز الأوتار الصوتية عند النطق بها .

٤ ـ كونها منفتحة بحيث لا ينطبق فيها اللسان على الحنك .

---

(١) انظر في هذا :
Fischer; Handbuch der arabischen Dialekte. S. 17 .

النون في السياق

عالج النحاة وعلماء التجويد أحكام النون الساكنة ، أي أحوالها المختلفة وهي في السياق أو في التركيب [١] ، واشتراط سكون النون ، يعني اتصالها مباشرة بما بعدها ، حيث لا يفصل بين هذه النون والصوت الذي يليها فاصل من حركة أو وقف ، وقد ذكر العلماء لهذه النون الساكنة غير الموقوف عليها أربعة أحوال أو أحكام ، هي :

الحكم الأول : الإظهار [٢]

يعني الإظهار احتفاظ النون بكل صفاتها الفارقة دون أدنى تأثر بالصوت الذي يليها ، ويكون ذلك بالإجماع إذا وليها صوت الهمزة أو الهاء أو العين أو الحاء ، ومن أمثلة ذلك الآيات الكريمة :

- ﴿ وهم ينهون عنه وينأون عنه ﴾ [الأنعام : ٢٦] .
- ﴿ أولئك الذين أنعم الله عليهم ﴾ [مريم : ٥٨] .
- ﴿ فصل لربك وانحر ﴾ [الكوثر : ٢] .
- ﴿ كل آمن بالله وملائكته .. ﴾ [البقرة : ٢٨٥] .
- ﴿ على شفا جرف هار ﴾ [التوبة : ١٠٩] .
- ﴿ والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم ﴾ [النور : ١١] .
- ﴿ تنزيل من حكيم حميد ﴾ [فصلت : ٤٢] [٣] .

---

(١) ولعل السبب في اختصاص كل من الميم والنون بأحكام معينة في السياق هو ما تنفردان به من صفة الأنفية ، أو لما فيهما من الغنة .

(٢) الإظهار هو اصطلاح أهل الأداء ، أما النحاة فيطلقون عليه اصطلاح « البيان » . انظر : سيبويه ، الكتاب ٢/ ٤١٥ .

(٣) تشير الأرقام بعد أسماء السور إلى أرقام الآي التي وردت فيها الأمثلة ، وانظر : أمثلة أخرى في : سراج القارئ المبتدىء ١٠١ ، والنشر ٢/ ٢٢ .

والسبب الصوتي الذي يدعو إلى هذا الإظهار هو بعد ما بين المخرجين ، إذ الحروف الأربعة المذكورة مخرجها من الحنجرة (الهمزة والهاء) ، ومن الحلق (العين والحاء) [١] ، وهما أبعد المخارج من النون ، وهناك سبب آخر هو أنه لا يترتب على إظهار النون (وهو الأصل) أدنى مشقة عندما يليها أحد هذه الحروف ، إذ إن الهواء عندما يعاق عند طرف اللسان وما يحاذيه من الحنك الأعلى ، فإنه يرتد ليتسرب من التجويف الأنفي ، فإذا أردنا بعد ذلك النطق بحرف حنجري أو حلقي ، فإن المنطقة التي يعاق فيها الهواء تكون خلف تجويف الأنف ، فلا يحدث حينئذ أي نوع من التداخل بين الصوتين .

أما إذا ولي النون غين أو خاء ، وهما أيضا من حروف الحلق في اصطلاح القدماء [٢] ، فقد اختلف في حكم هذه النون ، إذ إن أكثر العرب يظهرونها على الأصل ، وبعضهم يخفيها [٣] ، يقول سيبويه (الكتاب ٢/ ٤١٥) :

« وتكون (النون) مع الهمزة والهاء والعين والحاء والغين والخاء بَيِّنَةً (أي مظهرة) موضعها من الفم ، وذلك أن هذه الستة تباعدت من مخرج النون وليست من قبيلها فلم تُخْفَ ههنا ، كما لم تدغم في هذا الموضع » ، وبعد أن ذكر أمثلة ذلك عَقَّب بقوله : « هذا الأجود الأكثر ،

---

(١) وقد رأى القدماء أن الهمزة والهاء والعين والحاء والغين والخاء كلها حروف حلقية ، وهذا مبني على التوسع في مفهوم الحلق عندهم ، وقد كانوا مع ذلك يحسون بأن هناك فارقا من حيث المخرج بين هذه الحروف الستة ، فالهمزة والهاء من أقصى الحلق ، والعين والحاء من وسطه ، والغين والخاء من أدناه .

(٢) أما المحدثون فيرون - بحق - أنهما من حروف أقصى الحنك ، وهي المنطقة المسماة بالطبق ، ولذا وصفت بكونها طبقية أو حنكية قصية عند المحدثين .

(٣) انظر في معنى الإخفاء : ص ٦٠ وما بعدها .

وبعض العرب يجري الغين والخاء مجرى القاف » ، أي أنهم يخفون النون مع الغين والخاء كما يخفونها إذا وليتها القاف .

لقد كان ما سبق هو ما سجله النحاة عن الفصحاء العرب ، أما موقف أهل الأداء والمقرئين فقد كان انعكاسا صادقا لذلك ، إذ اتفق جميع القراء على إظهار النون إذا وليتها همزة أو هاء أو عين أو حاء ، فإذا وليتها غين في نحو قوله تعالى : ﴿ ونزعنا ما في صدورهم من غل ﴾ [الحجر : ٤٧] ، أو خاء في نحو قوله تعالى : ﴿ وما تنفقوا من خير فلأنفسكم ﴾ [البقرة : ٢٧٢] ، فإن جمهور القراء يظهرونها ، ولم يقرأ بالإدغام سوى أبي جعفر [١] ، كما نقل الإخفاء أيضا عن قالون رواية نافع قارئ أهل المدينة ، فإذا عرفنا أن أبا جعفر كان أيضا من قراء المدينة ، استطعنا ونحن مطمئنون أن نقرر أن أهل المدينة هم الذين أشار إليهم سيبويه بقوله : « وبعض العرب كانوا يجرون الخاء والغين مجرى القاف (في الإخفاء) » .

لقد أوضح النحاة وأهل الأداء السبب الصوتي الذي يدعو إلى إخفاء النون عند بعض العرب وبعض القراء إذا وليتها غين أو خاء ، وهو قرب مخرجها من اللسان [٢] ، وتشير الدراسات الصوتية الحديثة إلى أن مخرج هذين الصوتين هو الحنك الأقصى ، أو ما يسمى بالطبق ، ومن ثم يكونان من حروف الفم ، كالقاف والكاف وغيرهما من حروف الإخفاء .

---

(١) أبو جعفر ونافع هم من الأئمة العشرة أصحاب القراءات المشهورة ، والباقون هم ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو وعاصم وحمزة والكسائي ويعقوب وخلف .

(٢) انظر : الكتاب لسيبويه ، السطر الأخير ، وقارن بالنشر ٢/ ٢٣ .

الحكم الثاني: الإدغام

الإدغام : مصدر أدْغَم ، وقد يقال أيضا « الادِّغام » مصدر ادّغم [١] ، ويعني في اللغة : إدخال شيء في شيء [٢] ، أما في اصطلاح النحويين والقراء فيعني : « إلباث الحرف في مخرجه مقدار إلباث الحرفين في مخرجهما [٣] .

ويرى ابن القاصح [٤] أن حقيقة الإدغام هي : « أن تصل حرفا ساكنا بحرف متحرك فتصيرهما حرفا واحدا مشددا يرتفع عنه اللسان ارتفاعةً واحدة ، وهو بوزن حرفين » ، ويستنبط من جملة هذين التعريفين عدة أمور ، منها :

١ ـ أن الزمن الذي ستغرقه النطق بالحرف المدغم يساوي ضعف الزمن الذي يستغرقه النطق بالحرف غير المدغم .

---

(١) الإدْغَامُ هو اصطلاح الكوفيين ، أما الادِّغام ـ بتشديد اللام ـ فهو اصطلاح البصريين . انظر في ذلك : كشاف اصطلاحات الفنون ٢/ ٣٠٣ ، وشرح المفصل ١٠/ ١٢١ .

(٢) انظر اللسان مادة (دغم) .

(٣) كشاف اصطلاحات الفنون ٢/ ٣٠٣ ، وقد نقل التهانوي هذا التعريف عن جار الله (الزمخشري) ، وينبغي أن يقيد هذا الإلباث بالحروف الصامتة حتى يندفع الاعتراض الذي ذكره التهانوي بأن حروف المد قد يطول زمن النطق بها في حالات معينة كما في لفظ السماء ، والحاقة ، أما الاعتراض بأن زمن النطق بالمشدد أقصر من زمان الحرف الواحد فليس بشيء ، حيث أثبتت الدراسات الصوتية الحديثة أن الزمن الذي يستغرقه النطق بالحرف المشدد يساوي إن لم يزد عن ضعف ما يستغرقه النطق بالحرف المفرد ، مثال ذلك أن النون المفردة في وسط الكلمة تستغرق من ٧٠ - ١٠٠ جزء من ألف من الثانية ، أما النون المضعفة (المدغمة) فإنها تستغرق ما بين ٢٧٥ - ٣٣٠ .

انظر : في ذلك S. Al-Ani; Arabic phonology. P. 76

(٤) انظر : سراج القارئ المبتدي لابن القاصح ص ٣٣ ، وقارن بابن يعيش شرح المفصل ١٠/ ١٢١ .

٢ ـ اتحاد المخرج بين الحرفين المدغم والمدغم فيه .

٣ ـ عدم الفصل بالحركة (أو الوقف) بين الحرفين .

٤ ـ أن يعقب الحرف الثاني (وهو المدغم فيه) حركة ، اللهم إلا في الوقف حيث لا يعقبه شيء ؛ لأنه يمثل نهاية المقطع ، وذلك كما في الوقف على كلمة « حاج » ، وهذا لا يتنافى مع ما ذكروه من ضرورة الحركة في المدغم فيه ، لأن الأصل هنا هو الحركة والتسكين إنما عرض للوقف .

أنواع الإدغام

ينقسم الإدغام إلى إدغام كلي أو تام ، وإدغام جزئي أو ناقص وفقا لقوة اندماج الصوت الأول في الثاني ، بحيث إذا فقد الصوت الأول كل خواصه ليندمج في الثاني ، كان هذا إدغاما كليا ، أما إذا احتفظ ببعض هذه الخواص وفقد بعضها الآخر ، كان ذلك إدغاما جزئيا ، ويمكن على ضوء هذه الحقيقة أن نبين نوعي الإدغام على النحو التالي :

الإدغام الكلي

هو ما فقد فيه الصوت الأول كل صفاته الفارقة ، ويسمى أيضا بالإدغام التام أو الكامل [١] .

---

(١) انظر ما سبق ص ٤٧ .

الإدغام الجزئي [١]

هو ما فقد فيه الصوت الأول بعض صفاته الفارقة واحتفظ ببعضها ، يندرج تحت هذا النوع الأخير ما يسمى بالإدغام مع الغنة [٢] ، كما يشمل أيضا ما يسميه القراء والنحاة بالإخفاء ، وسنزيد هذا الأمر إيضاحا فيما بعد .

أما ما يطلق عليه جمهور أهل الأداء اسم « الإدغام الكبير » ويعنون به إدغام حرف متحرك في مثله أو مقاربه أو مجانسه [٣] ، فليس نوعا خاصا ، لأن حركة الحرف لا بد من حذفها قبل عملية الإدغام ، وذلك كقراءة أبي عمر « مناسكُم » : « مناسككم » .

إدغام النون

ذكر أهل الأداء أن النون تدغم إذا وليها أحد حروف كلمة « يرملون » ، أما إدغامها في نون مثلها فهذا أمر طبيعي لا تختلف فيه النون عن أي صوت آخر ، إذ الشأن في أي صوتين متماثلين أن يدغم الأول في الثاني إذا التقيا بدون فاصل ، أما إدغامها مع الأصوات الخمسة الأخرى وهي الميم واللام والراء والياء والواو ، فبسبب التقارب الشديد

---

(١) استعمل بعض أهل الأداء مصطلح الإدغام الكامل والإدغام الناقص لما أسميناه بالإدغام الكلي والإدغام الجزئي ، وقد اعتبر بعضهم الإدغام الناقص إخفاءا وليس العكس . انظر : النشر ١/ ٢٨ .

(٢) وذلك كما في إدغام النون في حرف غير أَغَنّ كالواو والياء ، أما إدغامها مع حرف أغن أي مع نون مثلها أو ميم ، فإن الإدغام يكون بغنة وهو إدغام كامل ، حيث الغنة للحرف الثاني وليس للأول .

(٣) انظر في معنى المماثل والمقارب والمجانس ما سبق ص ٤١ ، وانظر في معنى الإدغام الكبير : ابن الجزري ، النشر ١/ ٢٧٤ ، وابن القاصح ، سراج القارئ المبتدي ص ٣٣ .

في النطق الناجم عن تقارب المخارج ، والاتحاد في معظم الصفات ، ويكون الإدغام حينئذ نوعا من المماثلة التي تحقق الانسجام الصوتي وتوفر المجهود العضلي الذي يبذله اللسان ، وينقسم إدغام النون في هذه الأصوات إلى :

إدغام كامل

وذلك إذا تلتها نون مثلها أو ميم ، مثال ذلك قوله تعالى :

- ﴿ وإن من شيء إلا يسبح بحمده ﴾ [الإسراء : ٤٤] .
- ﴿ خلقكم من نفس واحدة ﴾ [الزمر : ٦] .
- ﴿ وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم ﴾ [البقرة : ٥٨] .

ويصحب هذا الإدغام غُنّة ، لأن الحرف المدغم فيه وهو النون الثانية أو الميم من حروف الغنة (أي من الأصوات الأنفية) ، وهذا موضع اتفاق بين جميع القراء وأهل العربية ، ويكون إدغام النون كاملا أيضا إذا تلتها الراء أو اللام (والياء والواو عند بعض القراء) ، ويسمى إدغامها حينئذ إدغاما بغير غنة لزوال صفة الأنفية عنها بعد الإدغام ، وقد ذهب إلى هذا جمهور أهل الأداء والجِلّة من أئمة التجويد [1] إذا أعقبتها اللام أو الراء في نحو قوله تعالى : ﴿ هدى للمتقين ﴾ [البقرة : ٢] ، وقوله عز من قائل : ﴿ فإن لم تفعلوا ﴾ [البقرة : ٢٤] ، وقوله سبحانه : ﴿ كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا ﴾ [البقرة : ٢٥] .

---

(١) النشر في القراءات العشر ٢/ ٢٣ ، وقد نسبه الشاطبي في حرز الأماني إلى القراء السبعة ، فقال :

وكلهم التنوين والنون أدغموا بلا غنة في اللام والراء ليجملا

انظر : سراج القارئ المبتدي ص ١٠١ .

وقد روى خلف عن حمزة [١] هذا الإدغام الكامل أيضا إذا تلتها الواو أو الياء ، وذلك في نحو قوله تعالى : ﴿ من يهدي الله فهو المهتد ﴾ [الإسراء : ٩٧] ، وقوله : ﴿ فما لهم من دونه من وال ﴾ [الرعد : ١١] .

إدغام جزئي

يقصد بالإدغام الجزئي في النون أن تحتفظ بإحدى صفاتها الفارقة ، وهي صفة الأنفية أو الغنة ، ويكون ذلك إذا تلتها واو أو ياء أو لام أو راء عند بعض القراء ، فممن حُكِيَ عنهم الإدغام بغنة في اللام والراء كثيرٌ من أئمة القراء كنافع وابن كثير وسواهم [٢] .

أما الإدغام بغنة في الواو والياء فقد روي عن جميع القراء فيما عدا ما رواه خلف عن حمزة في الرواية التي سبقت الإشارة إليها [٣] .

إن إدغام النون الساكنة في الواو والياء لا يتأتى إلا إذا كانا في كلمتين كما في الأمثلة السابقة ، أما إذا تعاقبا في كلمة واحدة فيجب إظهار النون حتى لا يلتبسا بالمضعف ، وذلك كما في : دنيا ، صنوان ، وقد أجمع على هذا أهل الأداء والنحاة [٤] ، ولم يرد في القرآن الكريم نون ساكنة تلتها ميم أو راء أو لام في كلمة واحدة ، أما في كلام العرب فقد وردت النون تلتها الميم في نحو : شاة زنماء ، وقد ذكر النحاة وجوب إظهارها هنا ، أما النون الساكنة تليها الراء أو اللام فلم ترد في كلمة عربية أصيلة كما ذكر سيبويه (انظر : الكتاب ٢/ ٤١٦) .

---

(١) النشر ٢/ ٢٤ ، وسراج القارئ ١٠١ .

(٢) النشر ٢/ ٢٣ .

(٣) اختلف النقل عن الكسائي فيما يتعلق بالغنة ، فروى أبو عثمان الضرير عن الدوري عن الكسائي الإدغام بغير غنة في الياء ، أما جعفر بن محمد فروي عنه تبقية الغنة كباقي القراء ، انظر : النشر ٢/ ٢٥ .

(٤) الكتاب ٢/ ٤١٥ ، وقارن بالمقتضب للمبرد ١/ ٣٥٣ .

الحكم الثالث: الإخفاء

الإخفاء في اصطلاح القراء : « حال بين الإظهار والإدغام » [١] ، وإذا كنا قد عرفنا قبلا أن الإظهار يعني احتفاظ النون بكل خواصها وصفاتها الفارقة ، وأن الإدغام (الكلي) يعني اندماج النون فيما يليها ، وتخليها عن جملة هذه الصفات ، فإن الإخفاء حينئذ يمكن تفسيره على أنه احتفاظ النون ببعض الصفات الفارقة وتخليها عن البعض الآخر ، وإذا ذهبنا نلتمس ما تفقده من الصفات وما تحتفظ به منها في ضوء كتب التراث ، صادفنا على الفور ما ذكره شيخ النحاة ، إذ يقول في الكتاب : « وتكون (النون) مع سائر حروف الفم حرفا خفيا مخرجه من الخياشيم » [٢] ، ويفهم من هذا احتفاظها بصفة الأنفية أو بالغنة ، ولكنها تتخلى عن صفة المخرج الخاص بكونها صوتا أسنانيا لثويا [٣] ، أما فيما يتعلق بصفة الجهر وهي الصفة الأساسية الثالثة للنون ، فلم يعرض لها القدماء بصورة واضحة ، لكنه إذا كان يجوز لنا أن نفترض أن الإخفاء الذي تحدث عنه سيبويه كمعيار للفرق بين المجهور والمهموس [٤] هو

---

(١) السابق ، نفس الصفحة ، وقارن بسراج القارئ ص ١٠١ ، والكتاب لسيبويه ٢/ ٤١٥ .

(٢) الكتاب ٢/ ٤١٥ ، والنشر ٢/ ٧٢ ، وسراج القارئ ١٠٢ ، وشرح متن الجزرية للشيخ عبد الفتاح القاضي ص ٢٧ ، وقد عرفه صاحب نهاية القول ص ٢٤ في علم التجويد بأنه : « النطق بحرف ساكن عار من التشديد على صفة بين الإظهار والإدغام مع بقاء الغنة في الحرف الأول » .

(٣) وقد صرح بذلك ابن يعيش إذ ذكر أنها (أي النون) تخرج من الخيشوم لا علاج على الفم في إخراجها . انظر : شرح المفصل ١٠/ ١٢٦ ، وقارن بالنشر ٢/ ٢٠١.

(٤) ورد ذلك في الرواية المنسوبة لأبي الحسن الأخفش من أنه قال : سألت سيبويه عن الفصل بين المهموس والمجهور ، فقال : « المهموس إذا أخفيته ثم كررته أمكنك ذلك ، أما المجهور فلا يمكنك ذلك فيه ، ثم كرر سيبويه التاء بلسانه وأخفى فقال : ألا ترى كيف يمكن ذلك ، وكرر التاء والطاء ، وهما من مخرج التاء ، فلم =

نفس الإخفاء الذي يحدث مع النون ، فإننا نستطيع على ضوء ذلك أن نقرر أن النون الخفية تفقد كذلك صفة الجهر ، ولا يتبقى منها سوى الغنة ، وقد أكدت الدراسات الحديثة صحة هذا الافتراض ، خاصة إذا تلا النون حرف مهموس من حروف الفم كالكاف أو التاء « إذ يلحق التهميس هنا الصامت الأنفي (النون أو الميم) على هيئة احتكاك أنفي ، وذلك حسب نوعية الصامت اللاحق وخاصة في الأداء القرآني »[1] ، وفيما يتعلق بصفة الانفتاح فإنها تتبع ما يليها ، فإن كان مطبقا (ص ض ط ظ) كانت كذلك وإلا حافظت على انفتاحها .

حروف الإخفاء

ذكر القدماء أن إخفاء النون الساكنة يتم إذا أعقبها حرف من حروف الفم ، ولم يذكر سيبويه تمثيلا لذلك إلا ثلاثة أحرف ، هي : الكاف ، والقاف ، والجيم في نحو : من كان ، من قال ، من جاء[2] ، كما مثل أيضا بالكلمتين : منخل ، منقل ، لإخفاء النون عند بعض العرب .

-- يمكن » ، وقد علق إبراهيم أنيس على هذه الرواية التي نقلها عن شرح السيرافي لكتاب سيبويه بقوله : « إن الذي لم يكن يعرفه سيبويه هو أن الإخفاء معناه إسكان الذبذبات الصوتية التي تحدث مع كل مجهور في الوترين الصوتيين بالحنجرة ، ومتى سكتت أو انقطعت الذبذبات انقلب المجهور إلى نظيره المهموس » ، وذكر أيضا أن الإخفاء يمكن مع المهموسات دون أن تفقد معالمها ، أما الإخفاء مع المجهورات فيترتب عليه أن الحرف تضيع صفته المميزة . انظر : الأصوات اللغوية ص ١٢٢ وما بعدها .

(١) باختصار وبعض تصرف عن سعد مصلوح ، دراسة السمع والكلام ص ٢٠٧ ، نشر عالم الكتب ـ القاهرة ١٩٨٠م ، وتجدر الإشارة هنا إلى أننا مازلنا في حاجة إلى إجراء مزيد من البحوث المعملية حتى يتضح لنا بصورة أكيدة ما إذا كانت النون تفقد أيضا صفة الجهر إذا سكتت ووليها حرف من حروف الفم .

(٢) الكتاب ٢/ ٤١٥ سطر ٧ (ط. بولاق) ، وانظر أيضا السطر الأخير في نفس الصفحة .

وقد تابع سيبويه جل النحاة العرب في تقرير حكم الإخفاء للنون إذا وليها حرف من حروف الفم [١] ، كما أجمع على ذلك أهل الأداء القرآني [٢] ، والمقصود بحروف الفم هنا خمسة عشر حرفا ، ثمان مجهورات وهي : القاف (الفصحى) ، والجيم والزاي ، والطاء (الفصحى) [٣] ، والضاد ، والدال ، والزاي ، وسبع مهموسات وهي : الكاف ، والشين ، والسين ، والصاد ، والتاء ، والثاء ، والفاء [٤] ، وقد جمع بعض الناظمين حروف الإخفاء الخمسة عشر في أوائل كلمات البيت التالي :

صف ذا ثنا كم جاد شخص قد سما

دم طيبا زد في تقى ضع ظالما

وإذا أضفنا إلى هذه الحروف الغين والخاء اللتين يخفيهما بعض العرب وبعض أهل الأداء ، فإن حروف الإخفاء تصبح حينئذ سبعة عشرحرفا ، ونذكر فيما يلي بعض الأمثلة القرآنية التي ورد فيها الإخفاء

---

(١) انظر : المقتضب ١/ ٣٥٠ ، ولم يمثل المبرد سوى للجيم والقاف والسين ، وقد ذهب إلى عدم جواز الإخفاء مع الغين والخاء ، أما صاحب المفصل فقد ذكر أن النون تخفى مع خمسة عشر حرفا ولم يقيدها بكونها من الفم ، حيث ذكر أن الإظهار يكون مع حروف الحلق ، والإدغام مع حروف يرملون ، والإقلاب مع الباء والإخفاء مع سائر الحروف . انظر : شرح المفصل ١٠/ ١٤٥ .

(٢) نقل هذا الإجماع محمد مكي نصر في كتابه نهاية القول المفيد ص ١٢٤ .

(٣) قيدنا القاف والطاء هنا بالفصحى ؛ لأنهما في نطقنا المعاصر من المهموسات ولم يكونا كذلك قديما .

(٤) تساءل بعض الباحثين المحدثين عما إذا كانت النون إذا تلتها الفاء لا تتحول إلى نوع من الميم ، لأن الفاء حرف أسناني شفوي ، ويبدو أن الإخفاء هنا ليس كالإخفاء مع سائر الحروف الأخرى ، إذ يسمع المرء هنا صوتا أقرب إلى غنة الميم منه إلى غنة النون .

مع :

١ ـ القاف في نحو قوله تعالى :

﴿ إنا إلى ربنا لمنقلبون ﴾ [الأعراف : ١٢٥] .

٢ ـ الجيم في نحو قوله تعالى :

﴿ قد أنجيناكم من عدوكم ﴾ [طه : ٨٠] .

٣ ـ الزاي في نحو قوله تعالى :

﴿ وأنزلنا من السماء ماء طهورا ﴾ [الفرقان : ٤٨] .

٤ ـ الضاد في نحو قوله تعالى :

﴿ وطلح منضود ﴾ [الواقعة : ٢٩] .

٥ ـ الظاء في نحو قوله تعالى :

﴿ وندخلهم ظلا ظليلا ﴾ [النساء : ٥٧] .

٦ ـ الدال في نحو قوله تعالى :

﴿ وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ﴾ [هود : ٦] .

٧ ـ الذال في نحو قوله تعالى :

﴿ إنما أنت منذر من يخشاها ﴾ [النازعات : ٤٥] .

٨ ـ الطاء في نحو قوله تعالى :

﴿ ما لكم لا تنطقون ﴾ [الصافات : ٩٢] .

٩ ـ الكاف في نحو قوله تعالى .

﴿ وإن منكم إلا واردها ﴾ [مريم : ٧١] .

١٠ ـ السين في نحو قوله تعالى :

﴿ علم أن سيكون منكم مرضى ﴾ [المزمل : ٢٠] .

١١ ـ الشين في نحو قوله تعالى :

﴿ ينشر لكم ربكم من رحمته ﴾ [الكهف : ١٦] .

١٢ ـ الصاد في نحو قوله تعالى :

﴿ إن ينصركم الله فلا غالب لكم ﴾ [آل عمران : ١٦٠] .

١٣ ـ التاء في نحو قوله تعالى :

﴿ لهم جنات تجري من تحتها الأنهار ﴾ [آل عمران : ١٩٨] .

١٤ ـ الثاء في نحو قوله تعالى :

﴿ كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا ﴾ [البقرة : ٢٥] .

١٥ ـ الفاء في نحو قوله تعالى :

﴿ انفروا خفافا وثقالا ﴾ [التوبة : ٤١] .

هذا وقد سبق القول بأن القراءة بالإخفاء قد وردت عن أبي جعفر وقالون (راوية نافع) مع :

١٦ ـ الغين في نحو قوله عز وجل :

﴿ ونزعنا ما في صدورهم من غل ﴾ [الحجر : ٤٧] .

١٧ ـ الخاء في نحو قوله عز وجل :

﴿ وجوه يومئذ خاشعة ﴾ [الغاشية : ٢] .

لماذا الإخفاء؟

تحدث النحاة والقراء عن السبب الصوتي الذي يدعو إلى الإخفاء في الأمثلة السابقة ، فقال سيبويه : « وتكون النون مع سائر حروف الفم حرفا خفيا مخرجه من الخياشيم ، وذلك أنها من حروف الفم ، وأصل الإدغام لحروف الفم لأنها أكثر الحروف ، فلما وصلوا إلى أن يكون لها مخرج من غير الفم كان أخف عليهم ألا يستعملوا ألسنتهم إلا مرة واحدة ، وكان العلم بها أنها نون من ذلك الموضع (أي الخياشيم) كالعلم بها ، وهي من الفم ، لأنه ليس حرف يخرج من ذلك

الموضع غيرها [١] ، فاختاروا الخفة إذ لم يكن لبس وكأن أصل الإدغام وكثرة الحروف للفم » [٢] .

وواضح من هذا النص أن سيبويه يعتبر الإخفاء نوعا من الإدغام ، وأن الذي دعا إليه هو التماس الخفة ، نظرا لكثرة دوران هذه الحروف واستعمالها في الكلام ، وقد سوغ ذلك قرب مخرج هذه الحروف من مخرج النون ، ويتضح ذلك من قياسه لها على اللام في قوله : « وإنما أخفيت النون في حروف الفم كما أدغمت في اللام » [٣] ، فإذا ذهبنا نلتمس سبب إدغامها في اللام وجدناه يقرر أن النون « تدغم في اللام لأنها قريبة منها على طرف اللسان » [٤] ، ويمكن أن نستخلص من جملة ما ذكره صاحب الكتاب ما يلي :

١ ـ الإخفاء نوع من الإدغام .

٢ ـ أن سبب هذا النوع من الإدغام هو التماس الخفة نظرا لكثرة استعمال حروف الفم .

٣ ـ أن المسوغ الصوتي لهذا الإدغام (الجزئي) هو القرب (النسبي) في المخرج بين النون وهذه الحروف .

وقد ترددت هذه الآراء بعد ذلك في كتب النحويين وأهل الأداء [٥] ، وهي آراء صحيحة في جملتها ، إذ إنّ الإخفاء من وجهة

---

(١) لعله يقصد بالموضع هنا طريق الخروج ، وهو مجرى الهواء ، وإلا فإن الميم تخرج أيضا من الخياشيم إذا كانت مخفاة .

(٢) الكتاب ٢/ ٤١٥ سطر ٢ وما بعدها .

(٣) نفسه سطر ١٢ .

(٤) نفسه ٢/ ٤١٤ سطر ١١ .

(٥) انظر في ذلك على سبيل المثال : المبرد في المقتضب ١/ ٣٥٠ ، وابن يعيش في شرح المفصل ١٠/ ١٤٥ ، وابن الجزري في النشر ٢/ ٢٧ .

النظر الصوتية الحديثة يمثل نوعا من المماثلة الجزئية دعت إليها مراعاة الانسجام الصوتي بين حرفين متقاربين في المخرج ، لأن النون « وإن كانت من حروف اللسان فبالغنة التي فيها ، التي خالطت الحياشيم اتصلت بجميع حروف الفم » كما يقول ابن عصفور [١] ، أما سبب إدغامها كليا في حروف « يرملون » [٢] فإن هذه الحروف وإن كانت أيضا من الفم إلا أنها تتميز على سائر الحروف الفموية في اشتراكها مع النون في خاصية الوضوح السمعي الناجم عن كونها جميعا أصواتا مجهورة غير احتكاكية [٣] ، وقد تنبه القدماء إلى شيء من هذا عندما اعتبر بعضهم « اللام ، والنون ، والراء ، والواو ، والياء » ضمن مجموعة أطلق عليها اسم الحروف المتوسطة [٤] .

مراتب الإخفاء

أشار بعض علماء التجويد إلى أن الإخفاء ليس درجة واحدة ، ولعلهم يقصدون بذلك أن الزمن الذي تستغرقه غنة النون المخفاة تختلف باختلاف ما يليها من حروف الإخفاء التي تختلف فيما بينها من حيث درجة قرب مخرجها من النون الساكنة ، وكلما ازداد القرب قصر

---

(١) الممتع في التصريف لابن عصفور ، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة جـ ٢ ص ٧٠٠ ، ط. رابعة ـ بيروت ١٩٧٩م .

(٢) سبق أن الإدغام الكلي يعني ذهاب غنة النون المدغمة ، أما الغنة التي نلاحظها عند الإدغام في النون أو الميم فهي غنة النون أو الميم المدغم فيها .

(٣) يطلق بعض الباحثين على هذه المجموعة اسم « الانطلاقيات » غير المحتكة ، وهي تشمل الانطلاقيات الأنفية (الميم والنون) ، والانطلاقيات الجانبية (اللام) ، والانطلاقيات اللمسية والمكررة (الراء) ، والانطلاقيات الانزلاقية (الواو والياء) .

(٤) تشمل هذه المجموعة إلى جانب الحروف المذكورة العين والألف ، وقد جمعها ابن جني في عبارة « لم يرو عنا » . انظر : سر صناعة الإعراب ١/ ٦٩ .

زمن الغنة ، يقول صاحب نهاية القول المفيد [١] : « أن حروف الإخفاء على ثلاث مراتب ، أقربها مخرجا إلى النون ثلاثة أحرف : الطاء ، والدال ، والتاء ، وأبعدها : القاف والكاف [٢] ، والأحرف الباقية متوسطة في القرب والبعد ، وأن الإخفاء على ثلاث مراتب أيضا ، فكل حرف هو أقرب إلى النون يكون الإخفاء عنده أزيد ، وما قرب إلى البعد يكون الإخفاء عنده دون ذلك [٣] ، وما كان بعيدا يكون الإخفاء عنده أقل مما قبله ، فإخفاؤها عند الأحرف الثلاثة الأول (د ، ت ، ط) إخفاء أعلى ، أي أن المخفي منهما (أي النون الساكنة والتنوين) عند هذه الأحرف أكثر من الباقي ، وغنتهما الباقية قليلة ، يعني زمن امتداد الغنة قصير ، وإخفاؤهما عند القاف والكاف إخفاء أدنى ، أي أن الغنة طويلة ، وإخفاؤهما عند الأحرف الباقية إخفاء أوسط ، وزمان غنتها متوسط » [٤] .

ويتلخص من ذلك أن مراتب الإخفاء هي :

١ ـ إخفاء أعلى ، ويكون مع أقرب حروف الفم إلى النون (الدال والتاء والطاء) ، ويكون الزمن الذي تستغرقه الغنة أقل ما يكون .

٢ ـ إخفاء أدنى ، ويكون مع أبعد الحروف عن النون (القاف والكاف والغين والخاء) ، ويكون الزمن الذي تستغرقه الغنة أطول ما يكون .

---

(١) وذلك نقلا عن المرعشي الذي نقل ذلك عن ابن الجزري ، ولم نعثر على ذلك في النشر ، ولعله قد ذكره في التمهيد .

(٢) قلت : والغين والخاء عند من أخفاهما من القراء .

(٣) وذلك مثل الجيم والياء والشين .

(٤) انظر : نهاية القول المفيد في علم التجويد ص ١٢٥ .

٣ ـ إخفاء أوسط ، ويكون مع باقي حروف الإخفاء ، ويكون زمن الغنة متوسطا بين القصر والطول [١] .

إننا نستطيع في ضوء معارفنا الصوتية الحديثة أن نحدد هذا الزمن تحديدا دقيقا إذا عرفنا « أن الغنة تتفق في التوقيت مع وضع اللسان في مخرج حرف الفم الذي يأتي بعد النون ، وإطالة زمن النطق بهذا الحرف المصاحب للغنة حتى يصير بمقدار حرفين أولهما ساكن والثاني متحرك ، ولما كانت المدد التي تستغرقها الحروف التالية للنون مختلفة ، فإن الزمن الذي تستغرقه النون مخفاة مع ما يليها لا بد وأن يختلف كذلك » [٢] ، فإذا عرفنا أن نطق الكاف اليوم مثلا يستغرق زمنا متوسطا قدره ١٢٠ جزء من ألف من الثانية ، وأن النون المفردة تستغرق في المتوسط حوالي ٨٥ جزءا ، فإن الغنة حينئذ تستغرق حوالي ٢٠٥ جزءا من ألف من الثانية [٣] ، ويجب أن نضيف من الوجهة النظرية البحتة أن هذا الزمن الذي تستغرقه الغنة لا يتوقف فقط على مدى القرب أو البعد من مخرج النون ، وإنما يتوقف كذلك على نوع الحرف الذي يليها من حيث الصفة أيضا [٤] ، ويجب أن نؤكد هنا أن القراءة موقوفة على السماع والتلقي

---

(١) العربية .. معناها ومبناها للدكتور تمام حسان ص ٢٨٨ .

(٢) قدر صاحب نهاية القول المفيد (ص ١٢٥) هذه المدد بقوله : « لو قلنا أن أعلاها قدر ألف ، وأدناها قد ثلث ألف ، وأوسطها قدر ثلثي ألف ، لأصبنا الحق أو قربنا منه » .

(٣) انظر في المدد التي يستغرقها نطق الحروف العربية المختلفة :
S. Al - Ani; Arabic phonology. P. 76 FF.

(٤) من حيث كونه شديدا أو رخوا ، مجهورا أو مهموسا ، مكررا أو جانبيا أو لينا ، ونحو ذلك ، وقد نقل صاحب النهاية عمن تلقى عنهم من مشايخه ، وعن العلماء المتقنين أن الغنة لا تزيد ولا تنقص عن مقدار حركتين (مثل قبض الإصبع وبسطه) كالمد الطبيعي .

من أفواه المجيدين ، وأن الدرس الصوتي الحديث مبني في الغالب على النطق المعاصر الذي قد يختلف إلى حد كبير أو قليل عن النطق الصحيح الذي تناقله أهل الأداء جيلا عن جيل عن المصطفى ﷺ .

وقبل أن نختم حديثنا عن الإخفاء ، نود الإشارة إلى أنه يوجد بين علماء الأداء من يعتبر الإدغام بغنة (في غير الميم والنون) نوعا من الإخفاء [١] ، وقد سبق أن ذكرنا أن هناك من يعتبر الإخفاء نوعا من الإدغام ، وهذه مسألة اصطلاح لا أكثر ، أما في حقيقة الأمر فإن كلا من الإدغام بغنة والإخفاء كلاهما يمثلان من الوجهة الصوتية نوعا واحدا وهو المماثلة الجزئية ، وإن شئت قلت : هذا الإدغام الجزئي دعت إليه ضرورة انسجام النطق بالنون مع ما يجاورها من أصوات الفم .

الحكم الرابع : الإقلاب

الإقلاب هو مصطلح أهل الأداء ، ويرادفه عند النحاة مصطلحات أخرى أشهرها القلب والإبدال ، ويقصد به هنا « قلب النون الساكنة ميما مخفاة قبل الباء مع بقاء الغنة الظاهرة » [٢] ، ويبدو أن هذه الغنة هي غنة الميم لا غنة النون ، وقد نُقل إجماع القراء على ذلك [٣] ، ومن أمثلته في القرآن الكريم قوله سبحانه : ﴿ يا آدم أنبئهم بأسمائهم ﴾ [البقرة : ٣٣] ، وقوله سبحانه : ﴿ ونودي أن بورك من في النار ومن حولها ﴾ [النمل : ٨] ، وقوله عز وجل : ﴿ سميع بصير ﴾ [الحج : ٦١] .

وقد دعا إلى هذا النوع من القلب ، أي إبدال النون ميما عندما تليها الباء ما يعرف بظاهرة المماثلة Assimilation ، وذلك أن النون

---

(١) انظر : النشر ٢/ ٢٨ .

(٢) نهاية القول المفيد ص ١٢٢ ، وقارن بالنشر ٢/ ٢٦ .

(٣) انظر : المرجعين السابقين ، نفس الصفحات ، وقارن بسراج القارئ ص ١٠٢ .

حرف أسناني لثوي أنفي ، أما الباء فحرف شفوي شديد ، فلما أرداوا تقريبها منها ، ويحافظوا في الوقت نفسه على أهم خواصها وهي الغنة ، أبدلوها حرفا يجمع بين صفة النون (وهي الأنفية) ، وصفة الباء (وهي الشفوية) ، وذلك الحرف هو الميم ، وقد سبق أن هذه الميم مخفاة بمعنى أن عضوي النطق وهما الشفتان لا تعملان سوى مرة واحدة لحجز الهواء كي يمر من الأنف ، وقد تحدثنا عن ظاهرة الإخفاء قبلا بما يغني عن الإعادة هنا .

* * *

أحكام الميم الساكنة

للميم الساكنة أحكام ثلاثة ، هي : الإدغام ، والإخفاء ، والإظهار ، وقد فصل ابن الجزري [١] في كتابه « النشر » هذه الأحوال الثلاثة ، وبين مواضعها ومواقف القراء منها ، ومثل لها على النحو الذي نورده فيما يلي : « وأما إذا كان صوت الميم ساكنا فله أحكام ثلاثة :

الأول: الإدغام

بالغنة عند ميم مثله كإدغام النون الساكنة عند الميم ، ويطلق ذلك في كل ميم مشددة ، نحو : دمّر ، يعمّر ، حمّالة ، الـّم ، هَمَّ ، أَمْ مَنْ أسّس .

الثاني: الإخفاء

عند الباء على ما اختاره الحافظ أبو عمرو الداني وغيره من المحققين ، وذلك مذهب أبي بكر بن مجاهد وغيره ، وهو الذي عليه أهل الأداء بمصر والشام والأندلس وسائر البلاد الغربية ، وذلك نحو : يعتصم بالله ، وربهم بهم ، يوم هم بارزون ، فتظهر الغنة فيها إذ ذاك كإظهارها بعد القلب في نحو : من بعد ، أنبئهم بأسمائهم ، وقد ذهب جماعة كأبي الحسن أحمد بن المنادى وغيره إلى إظهارها عندها إظهارا تاما ، وهو اختيار مكي القيسي وغيره ، وهو الذي عليه أهل الأداء بالعراق وسائر البلاد الشرقية .

---

(١) ابن الجزري هو الإمام الحجة أبو الخير محمد بن محمد بن علي بن يوسف الجزري ، مؤلف كتاب النشر في القراءات العشر ، وكتاب غاية النهاية في طبقات القراء ، وقد أخذنا النص الذي ابتدأناه عنه في المتن من جـ ١ ص ٢٢٢ من كتاب النشر .

وحكى أحمد بن يعقوب التائب إجماع القراء عليه (قلت) والوجهان صحيحان مأخوذ بهما ، إلا أن الإخفاء أولى للإجماع على إخفائها عند القلب ، وعلى إخفائها في مذهب أبي عمرو حالة الإدغام في نحو : أعلم بالشاكرين .

الثالث: الإظهار

إظهارها عند باقي الأحرف ، نحو : الحمد ، وأنعمت ، وهم يوقنون ، ولهم عذاب ، إنهم هم ، عليهم ، أأنذرتهم ، ولا سيما ، إذا أتى بعدها فاء ، أو واو فَلْيَعن بإظهارها لئلا يسبق اللسان إلى الإخفاء لقرب المخرجين ، نحو : هم فيها ، ويمدهم في طغيانهم ، عليهم وما ، أنفسهم وما ، فيتعمل اللسان عندهما ما لا يتعمل في غيرهما » .

* * *

القلقلة

القلقلة من الخواص الصوتية التي تعرض لبعض الصوامت في حالة معينة هي حالة الإسكان ، أي الخلو من الحركة ، والهدف منها حماية هذه الحروف من التأثر بما يجاورها من الأصوات ؛ لأنهم (أي العرب) أرادوا المحافظة على ما فيها من الشدة والجهر ، فحروف القلقلة وهي : ق ، ط ، ب ، ج ، د ، كلها شديدة مجهورة من وجهة نظر القدماء ، أو ـ لنقل ـ في النطق العربي الفصيح ، فالقاف والطاء كانتا مجهورتين عند علماء الأداء ، وكذلك الجيم التي توسم الآن بأنها حرف مركب (يبدأ شديداً وينتهي رخواً) ، والسبب في اشتراطهم سكون حرف القلقلة أن الحركة تحمي هذا الحرف من التأثر بما يليه ، حيث تشكل الحركة حاجزاً قويا يقي حرف القلقلة من التغير في السياقات المختلفة .

وتعني القلقلة لغة : التحريك والاضطراب .

أما اصطلاحا : فهي اضطراب الحرف في مخرجه عند النطق به ساكنا حتى يُسْمَع له نبرة قوية .

وهذه النبرة المتمثلة في اضطراب مخرج الحرف المقلقل عقب خروجه لا تتأتى إلا بإتباع حرف القلقلة الساكن بحركة مركزية قصيرة جدا ، وذلك حرصا على إبرازه وتوضيحه من ناحية ، وحماية له من التأثر بما يليه من ناحية أخرى ، وقد أجمع علماء الأداء على أن حروف القلقلة هي : « قطب جد » ، مع اختلافهم في عد حروف أخرى .

أقسام القلقلة

قسم العلماء القلقلة من حيث الدرجة إلى أقسام ثلاثة ، هي :

١ ـ **قلقلة خفيفة** : وهي التي تلحق حرف القلقلة الساكن في وسط الكلمة ، وذلك مثل قوله تعالى : ﴿ فوسطن به جمعا ﴾ [العاديات : ٥].

٢ ـ **قلقلة متوسطة** : وهي التي تلحق حرف القلقلة غير المشدد في أواخر الكلمات الموقوف عليها بالسكون ، سواء أكان هذا السكون أصليا ، كما في قوله تعالى : ﴿ وإلى ربك فارغبْ ﴾ [الشرح : ٨] ، أم كان سكونا عارضا لأجل الوقف فقط ، وذلك كما في قوله تعالى : ﴿ والسماء ذات البروج ﴾ [البروج : ١] .

٣ ـ **قلقلة ثقيلة** : وهي تلحق حرف القلقلة المشدد عند الوقف عليه ، وذلك كما في قول الله تعالى : ﴿ ذلك اليوم الحقّ ﴾ [النبأ : ٣٩] ، وتعرف هذه القلقلة بـ « القلقلة الكبرى »[1] .

شروط القلقلة

لكي تتحقق القلقلة ، فلا بد من توافر شروط في الحرف المقلقل :

١ ـ أن يكون الحرف المقلقل من حروف « ق ، ط ، ب ، ج ، د » أي من الأصوات الشديدة المجهورة .

٢ ـ أن يكون هذا الحرف ساكنا ، فلا قلقلة في الحرف إن كان متحركا .

---

(١) لم يفرق كثير من علماء التجويد بين النوعين الأخيرين واعتبروهما معا من القلقلة الثقيلة ، وقد أخذنا بهذا الرأي في المصحف المعلم فجعلنا للنوعين رمزا واحداً .

٣ ـ ألا يدغم فيما بعده ، فإن أدغم فلا قلقلة ، ومن ثم امتنعت القلقلة في قوله تعالى : ﴿ ولا يغتب بعضكم بعضا .. ﴾ [الحجرات : ١٢] ، وذلك لأن وجود القلقلة يمنع الإدغام الذي يؤدي إلى الوضوح السمعي بدرجة أعلى مما تؤديه القلقلة .

قاعدة القلقلة بين الوصل والوقف

إذا وقفت على أحد حروف القلقلة المتحرك سواء في وسط الآية أو آخرها ، فلا بد من قلقلة ذلك الحرف قلقلة كبرى (ثقيلة) إن كان مشددا ، وقلقلة وسطى إن كان غير مشدد ، أما إذا وصلت القراءة ولم تقف سواء في وسط الآية (عند موضع جواز الوقف) أو في آخرها فلا تقلقل الحرف .

* * *

التفخيم والترقيق

يعد التفخيم والترقيق من الصفات العارضة للحروف ، أي تلك التي تلزم الحرف في بعض الأحيان وتنفك عنه في أحيان أخرى .

والمراد بـ « التفخيم » تسمين الحرف وتغليظه ، ويكون ذلك نتيجة لكثرة الذبذبات الصوتية وتركزها في بؤرة واحدة هي مؤخر الفم .

أما الترقيق فالمراد به تنحيف الحرف ، ويكون ذلك نتيجة لقلة عدد الذبذبات وانتشارها في الفم .

وتنقسم الحروف العربية بحسب التفخيم والترقيق إلى ثلاثة أقسام :

١ ـ ما يفخم دائما ، وهي حروف الاستعلاء « خص ضغط قظ » .

٢ ـ ما يفخم في بعض الأحيان ، ويرقق في بعضها الآخر « ألف المد ـ اللام ـ الراء » .

٣ ـ ما يرقق في جميع الحالات ، وهو بقية الحروف .

وسنعرض لبيان النوع الثاني وفقاً لرواية حفص عن عاصم فيما يلي :

تفخيم ألف المد

تفخم ألف المد إذا جاءت بعد حرف من حروف الاستعلاء « خص ضغط قظ » ، وذلك نحو : طاب ـ قال ـ ضاق ـ خان ـ غاب ـ ظاهر ، وترقق في غير ذلك .

تفخيم اللام (من لفظ الجلالة)

تفخم اللام من لفظ الجلالة إذا سبقها فتح أو ألف مد ، أو جاءت بعد ضم أو واو مد ، مثال الفتح : ﴿ شَهِدَ اللهُ ﴾ [آل عمران : ١٨] ، ومثال ألف المد : ﴿ آللهُ أذن لكم ﴾ [يونس : ٥٩] ، ومثال الضم :

﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللهِ ﴾ [الفتح : ٢٩] ، ومثال واو المد : ﴿ ذَكَرُوا اللهَ فاسْتَغْفَرُوا ﴾ [آل عمران : ١٣٥] ، ومعلوم أن لفظ الجلالة إذا وقع في أول الكلام فخمت لامه قولا واحدا لوقوعها بعد الفتح ، وترقق اللام في غير ذلك .

تنبيه : إذا وقعت اللام (في لفظ الجلالة) بعد كلمة منونة ، فإن نون التنوين تكسر للتخلص من التقاء الساكنين ، ومن ثم يجب الترقيق لأجل الكسر العارض ، أما عند الوقف على الكلمة المنونة والابتداء بلفظ الجلالة فإن اللام تفخم ، مثال ذلك قوله سبحانه : ﴿ قل هو الله أحد ، الله الصمد ﴾ ، فإن وصلت رققت ، وإن وقفت على أحد وابتدأت بلفظ الجلالة فخمت اللام .

تفخيم الراء

تعرض للراء أحوال مختلفة تبعا لاختلاف ما يحيط بها (يسبقها أو يلحقها من الحروف والحركات) ، ومن ثم يختلف حكمها من حيث التفخيم والترقيق على النحو التالي :

مواضع تفخيم الراء:

١ ـ تفخم إذا كانت مضمومة أو مفتوحة بغض النظر عما يسبقها أو يلحقها من الحروف ، مثال المضمومة : يبشرُهم ـ يؤمرُون ، ومثال المفتوحة : ربَّك ـ نارًا ـ شرَاب .

٢ ـ إذا كانت ساكنة وقبلها حرف مضموم أو مفتوح ، مثال الحالة الأولى : قُرْآن ـ بُرْهان ، ومثال الثانية : قرْية ـ خرْدل .

٣ ـ أن تكون ساكنة بعد كسر عارض مثل : ارجعي ، ونحو : « أم ارتابوا » ؛ لأن كسر همزة الوصل في المثال الأول يسقط في

الوصل ، وكسرة الميم في المثال الثاني تسقط عند الوقف ، ويلاحظ أنها في المثالين جاءت بعد همزة الوصل ، ولذلك يمكن القول بأنها تفخم بعد همزة الوصل مطلقا .

٤ ـ إذا كانت ساكنة وبعدها حرف استعلاء (غير مكسور) في كلمة واحدة (حتى ولو كانت مكسورة كسرا أصليا) ، مثال ذلك : بالمرصاد ـ قرطاس .

٥ ـ أن تكون ساكنة (للوقف) وقبلها ساكن قبله فتح أو ضم ، مثل : القَدْرْ ـ الأُمُورْ .

مواضع الترقيق

ترقق الراء في الحالات الآتية :

١ ـ إذا كانت مكسورة ، مثل : رجال ـ مريج .

٢ ـ إذا كانت ساكنة وقبلها ياء مد أو لين ، مثل : خَبِير ، ضَيْر .

٣ ـ إذا كانت ساكنة وقبلها حرف مكسور وليس بعدها حرف استعلاء في نفس الكلمة ، مثل : فرعون ، أو بعدها حرف استعلاء في كلمة أخرى مثال : ﴿ أَنْذِرْ قومك ﴾ .

٤ ـ إذا جاء بعدها ألف ممالة ، ولم يرد ذلك في قراءة حفص عن عاصم إلا في كلمة واحدة في القرآن الكريم ، هي : ﴿ مجريها ﴾ [هود : ٤١] .

٥ ـ إذا كانت ساكنة (للوقف) بعد حرف ساكن قبله كسر كما في : حِجْرْ ـ سِحْرْ .

المواضع التي يجوز فيها الترقيق والتفخيم

يجوز التفخيم والترقيق إذا وجد عنصران في الكلمة أحدهما

يقتضي التفخيم وهو حرف الاستعلاء ، والآخر يقتضي الترقيق وهو الكسر ، وذلك إذا :

١ ـ كانت ساكنة وقبلها كسر وبعدها حرف استعلاء مكسور ، مثل : فِرْق .

٢ ـ كانت ساكنة (للوقف) وقبلها حرف استعلاء ساكن مكسور ما قبله ، مثل : مِصْر ـ قِطْر .

٣ ـ إذا كانت ساكنة للوقف ، بينما هي في الوصل مكسورة وبعد الكسر ياء مد محذوفة تخفيفا ، وينحصر ذلك في القرآن الكريم في لفظين هما : قوله سبحانه : ﴿ ونُذُر ﴾ [القمر في الآيات : ١٦ ، ١٨ ، ٢١ ، ٣٠ ، ٣٧ ، ٣٩] ، وقوله عز وجل : ﴿ والليل إذا يَسْر ﴾ [الفجر : ٤] ، فمن رقق نظر إلى الأصل وهو الياء المحذوفة للتخفيف ، ومن فخم نظر إلى السكون العارض للوقف .

هل تفخم الحركات ؟

لقد ذكرنا آنفا أن الحركات (الفتحة والكسرة والضمة) هي أبعاض حروف المد ، إذ الفتحة بعض الألف ، والكسرة بعض الياء ، والضمة بعض الواو ، وإذا كان علماء الأداء القرآني متفقين على تفخيم الألف ، فإن لطالب العلم أن يسأل : هل تفخم الفتحة أيضا ؟ والجواب : نعم ، تفخم الفتحة إذا جاءت بعد حرف من حروف الاستعلاء ، وهي المجموعة في قولهم : « خص ضغط قظ » ، وذلك كما في : خَبِير ، ضَرَب ، غَلب ، طَيِّب ، قَلْب ، ظَهير ، كما تفخم أيضا بعد كل من الراء واللام المفخمتين ، كما في ربُّنا ، الله ، وترقق فيما عدا ذلك ، أما الكسرة والضمة فالأصل فيهما الترقيق .

خلاصة أحكام الراء

المثال	الحكم	السبب
يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم	التفخيم	ضم الراء .
شَرَابًا طَهُورًا	،،	فتح الراء .
إِنَّ هَٰذَا الْقُرْءَانَ	،،	سكون الراء بعد ضم .
عن القَرْيَةِ التي	،،	سكون الراء بعد فتح .
أم ارْتَابُوا	،،	سكون الراء بعد كسر عارض (بعد همز الوصل) .
في قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ	،،	سكون الراء بعد كسر وبعدها حرف استعلاء غير مكسور في كلمة .
فِي لَيْلَةِ القَدْرِ	،،	سكون الراء للوقف بعد ساكن قبله فتح .
تُرْجَعُ الأُمُورُ	،،	سكون الراء للوقف بعد ساكن قبله ضم .
فَهُمْ في أَمْرٍ مَّرِيجٍ	الترقيق	كسر الراء .
مِثْلُ خَبِيرٍ	،،	سكون الراء بعد ياء المد .
لا ضَيْرَ لنا	،،	سكون الراء بعد ياء اللين .
إِلَى فِرْعَونَ وَمَلَإِيْهِ	،،	سكون الراء بعد حرف مستفل مكسور .
مجْراهَا وَمُرْسَاهَا	،،	وقوع الراء قبل الألف الممالة .

المثال	الحكم	السبب
قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ	الترقيق	سكون الراء للوقف بعد ساكن قبله كسر .
فِرْقٍ كَالطَّوْدِ	جواز الترقيق والتفخيم	سكون الراء بعد كسر وبعدها حرف استعلاء مكسور .
بِمِصْرَ بُيُوتًا	،، ،،	سكون الراء للوقف وقبلها حرف استعلاء ساكن بعد كسر.
عَذَابِي وَنُذُرِ	،، ،،	سكون الراء للوقف وبعدها وصلا ياء إضافة محذوفة .

خلاصة أحكام لام لفظ الجلالة

المثال	الحكم	السبب	ملاحظات
إِنَّ اللهَ	التفخيم	وقوع اللام بعد فتح	تفخّم اللام من لفظ الجلالة دائما عند الابتداء به
مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ	،،	وقوع اللام بعد ضم	
ءَآللهُ أَذِنَ لَكُمْ	،،	وقوع اللام بعد مد	
لِلَّهِ الأَمْرُ	الترقيق	وقوع اللام بعد كسر	

المد والقصر

إن الأحكام الأدائية الخاصة بالمد والقصر من أهم الأحكام التجويدية التي يؤدي الألمام بها وإتقانها من الوجهتين النظرية والتطبيقية إلى التلاوة الحقة والترتيل الصحيح لآي الذكر الحكيم كما تلقاه الصادق المصدوق ﷺ عن أمين الوحي عن رب العزة عز وجل ، والأصل في هذا الباب ما روي عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ من أنه كان يُقْرِئُ رجلا ، فقرأ الرجل : « إنما الصدقات للفقراء والمساكين ... » مرسلة ، أي مقصورة ، فقال ابن مسعود : « ما هكذا أقرأنيها رسول الله ﷺ ، فقال (الرجل) : كيف أقرأكها يا أبا عبد الرحمن ؟ فقال : أقرأنيها : " إنما الصدقات للفقراء والمساكين .. " فمدها »[1] .

يقول ابن الجزري :

« **المد** : في هذا الباب هو عبارة عن زيادة مط في حرف المد على المد الطبيعي ، وهو الذي لا تقوم ذات حرف المد دونه .

والقصر : عبارة عن ترك تلك الزيادة وإبقاء المد الطبيعي على حاله »[2] .

وتشير عبارة ابن الجزري بوضوح إلى أن للمد في غير هذا الباب معنى آخر ، كما تشير إلى أن المد الطبيعي يرادف القصر في هذا الباب ، وقبل أن نتحدث عن الأحكام الأدائية المتعلقة بالمد والقصر ، وأسباب كل منهما ومواضعه وأمثلته عند علماء الأداء ، يجدر بنا أن نشير بإيجاز

---

(١) روى ابن الجزري هذا الحديث في النشر ١/ ٣١٥ ، وعقب عليه بقوله : هذا حديث جليل حجة ونص في هذا الباب ، ورجال إسناده ثقات ، رواه الطبراني في معجمه الكبير .

(٢) النشر ١/ ٣١٣ .

إلى الأحوال المختلفة التي تعرض لحروف المد في السياقات التي ترد فيها ، كما سنعرض للصفات الأساسية أو الفارقة لهذه الأحرف مفردة ، حيث إن ما يعرف عند علماء الأداء بالمد لا يعدو أن يكون صفة ثانوية لهذا النوع من المصوتات ترتبط بظروف السياق .

حروف المد في اللغة العربية

حروف المد ثلاثة ، هي : الألف ، والواو (الساكنة المضموم ما قبلها) ، والياء (الساكنة المكسور ما قبلها) ، وهي تنتمي جميعا إلى صنف الحركات ، وتشكل نوعا خاصا منها ، هو ما يعرف بالحركات الطوال ، أما الحركات القصار فهي الفتحة والضمة والكسرة ، والعلاقة بين النوعين أي الحركات القصار (الفتحة والكسرة والضمة) والحركات الطوال (أي ألف المد وواوه وياؤه) لا تعدو أن تكون علاقة كمية ترتبط بالزمن الذي يستغرقه نطق كل منهما ، وفيما عدا ذلك فإن وضع اللسان والشفتين يظل كما هو ، فإذا كانت الضمة على سبيل المثال حركة خلفية ضيقة مستديرة تتصف بالقصر ، فإن واو المد التي هي من جنسها توصف بأنها أيضا حركة خلفية ضيقة مستديرة ، ولكنها تتصف بالطول ، وهكذا بالنسبة للفتحة وألف المد والكسر وياء المد .

ونجمل فيما يلي الصفات الأساسية للحركات العربية من الناحية الصوتية [١] (خاصة ما يتعلق من ذلك بوضع اللسان والشفتين) :

الفتحة المرققـــة : حركة أمامية متسعة محايدة قصيرة .

---

(١) أما من الناحية الفونولجية فإن الحركات العربية تمد ستا فقط حيث إن التفخيم والترقيق في كل من الفتحة والألف لا يترتب عليه أي أثر دلالي ، وإنما تكون الفتحة وألف المد مفخمين إذا جاءا بعد حرف من حروف الاستعلاء (خص ضغط قظ) ، وكذلك بعد اللام والراء في مواضع معينة .

ألف المد المرققة : حركة أمامية متسعة محايدة طويلة .
الفتحة المفخمة : حركة خلفية متسعة محايدة قصيرة .
ألف المد المفخمة : حركة خلفية متسعة محايدة طويلة .
الكسرة : حركة أمامية ضيقة منفرجة قصيرة .
ياء المد : حركة أمامية ضيقة منفرجة طويلة .
الضمة : حركة خلفية ضيقة مستديرة قصيرة .
واو المد : حركة خلفية ضيقة مستديرة طويلة [١] .

لقد سبق اللغويون العرب إلى معرفة العلاقة الكمية بين الحركات (القصار) وحروف المد ، وقرر أبو الفتح بن جني (أن المفتوح هو الذي إذا أشبعت حركته حدثت عنها ألف ، والمكسور هو الذي إذا أشبعت حركته حدثت عنها ياء ، والمضموم هو الذي إذا أشبعت حركته حدثت عنها واو ، وهذه الأحرف اللاتي يحدثن لإشباع الحركات لا يكن إلا سواكن ، لأنهن مدات ، والمدات لا يتحركن أبدا » (سر الصناعة ١/ ٣١) .

لقد أصل المحدثون من الصوتيين العرب ما ذهب إليه ابن جني وغيره من القدماء باستعمال طرق القياس الحديثة التي أكدت هذه العلاقة الكمية بين كل حركة قصيرة وما يناظرها من حروف المد ، وقد بلغ متوسط الزمن الذي يستغرقه نطق الحركة من ١٠٠ إلى ١٥٠ جزء من ألف من الثانية ، أما حرف المد فإن نطقه يستغرق من ٢٢٥ إلى ٣٥٠

---

(١) اكتفينا بتحديد الخصائص النطقية المتعلقة بوضع اللسان والشفتين ، وكذلك بالزمن المستغرق في النطق ، وهناك صفات أخرى تتعلق بالناحية الفيزيائية مثل النغم والانتشار ، وقد عالجنا هذا الموضوع بتفصيل أكثر في بحثنا عن « المصوتات العربية في ضوء نظرية الصفات الفارقة » في العدد التاسع من حولية كلية اللغة العربية بالقاهرة ١٩٩١م .

جزء من الثانية ، ويدل هذا على أن الكمية الزمنية التي يستغرقها نطق الحركة القصيرة يساوي تقريبا نصف ما يستغرقه نطق الحركة الطويلة[١].

الحركات العربية في السياق

قد يعرض للحركات العربية قصارا كن أو طوالا في السياقات المختلفة ما يجعل الحركات القصار أكثر قصرا ، وما يجعل الحركات الطوال أكثر طولا ، ومن ثم تكون الزيادة في القِصَر بالنسبة للحركات القصار أي الفتحة والكسرة والضمة ، والزيادة في الطول بالنسبة لحروف المد من الصفات الثانوية التي لا تؤدي وظيفة دلالية ، ويطلق على الحالة الأولى مصطلح الاختلاس أو الروم [٢] ، وعلى الثانية مصطلح المطل أو المد [٣] .

ومن الأمور التي تعرض للحركات العربية أن تفقد ـ في بعض السياقات ـ صفة أو أكثر من صفاتها الفارقة ، وهنا تتغير ملامحها وتصبح حركة أخرى ، وذلك كأن تفقد الألف أو الفتحة صفة الاتساع فتصبح إمالة شديدة أو خفيفة أو بين بين ، وقد تفقد الألف صفة الطول فتصبح فتحة ، والأمر كذلك بالنسبة للكسرة والضمة اللتين تفقدان صفة القصر ، فيتحولان إلى حرف مد ، ويطلق على هذه الظاهرة مصطلح مطل الحركات كما في « أنظور » بدلا من « أنظُرُ » ، و« قمين » بدلا من

---

(١) انظر : S. Al - Ani; Arabic phonology. P. 75 .

(٢) عرف علماء الأداء الروم بأنه « إذهاب الصوت بالحركة حتى يذهب معظم صوتها » ، وهي حركة غير تامة ولا تكون إلا في الوقف على المرفوع والمجرور ، والجزء الذاهب من الحركة أكثر من الجزء الباقي ، أما الاختلاس فهو أيضا إذهاب بعض الحركة بحيث يكون الذاهب من الحركة أقل مما تبقى منها ، وهو يكون في الحركات الثلاث ، ويأتي وصلا ووقفا . انظر : نهاية القول المفيد ص ٢١٨ .

(٣) المطل هو اصطلاح أهل العربية ، والمد أو المد الفرعي هو اصطلاح أهل الأداء .

« قَمِن » ، وقد يحدث العكس بأن يفقد حذف المد صفة الطول فيتحول إلى نظيره من الحركات القصار ، وذلك كما في « إبراهِم » بدلا من « إبراهيم » ، و« دِفن » بدلا من « دفين » [١] .

والخلاصة أن الفتحة والكسرة والضمة قد يعرض لها في السياقات المختلفة ما يجعلها أكثر قصرا (الروم والاختلاس) ، أو ما يجعلها تتحول لحرف مد (مطل الحركة) ، أما الألف فإنه يعرض لها في بعض السياقات ما يجعلها تفقد صفة الاتساع فتتحول إلى حركة ممالة ، وقد يعرض لها ولأختيها الواو والياء في سياقات أخرى ما يجعلهن أكثر قصرا فيتحولن إلى الحركات القصار ، وذلك إما لضرورة الشعر ، وإما لالتقاء كل منهما بساكن في كلمة أخرى ، وهو ما يعرف بـ « حذف حرف المد » أو تقصيره ، وقد يعرض لهن ما يجعلهن أكثر طولا ، وهو ما يعرف بالمد أو المد الفرعي عند علماء الأداء ، وهذا ما نعرض له في الفقرة التالية .

المد والقصر عند علماء الأداء

ذكر صاحب نهاية القول المفيد أن المد « في اصطلاح القراء : إطالة الصوت بحرف من حروف المد »[٢] ، وأن القصر في هذا « الاصطلاح : إثبات حرف المد من غير زيادة عليه » [٣] .

وقد سبق أن ذكرنا ما قاله ابن الجزري من أن المد « في هذا الباب : هو عبارة عن زيادة مط في حرف المد على المد الطبيعي ، وأن القصر

---

(١) وردت هذه الصيغ في ضرورة الشعر ، انظر أمثلة ذلك في : القافية وأصوات اللغة للدكتور عوني عبد الرؤوف ص ١٥٢ .

(٢) نهاية القول المفيد في علم التجويد للشيخ محمد مكي نصر ص ١٢٩ .

(٣) السابق ، نفس الصفحة .

عبارة عن ترك تلك الزيادة وإبقاء المد الطبيعي على حاله »[١] .

لقد أحس علماء الأداء أن تناولهم لظاهرة مطل حروف المد وزيادتها على المد الطبيعي تحت عنوان « المد » قد يؤدي إلى لبس - وهو بالفعل كذلك - بين المد الذي هو الفارق بين الحركة القصيرة ونظيرتها من الحركات الطوال ، والمد الذي هو زيادة عن مقدار الحركة الطويلة العادية ، ولذلك أضافوا صفة للنوع الأخير ، فأطلقوا عليه المد الفرعي ، كما أضافوا صفة للنوع الأول فأطلقوا عليه « المد الطبيعي » ، وجعلوا مصطلح المد الطبيعي مرادفا لمصطلح القصر في هذا الباب ، وعلى ذلك فإننا لا نجد بأسا من استخدام مصطلح « المطل » الذي استعمله ابن جني لندل به على ما يطلقون عليه « المد » أحيانا ، و« المد الفرعي » أحيانا أخرى ، كما لا نرى بأسا من إبقاء مصطلح القصر للدلالة على ما يطلقون عليه المد الأصلي أو الطبيعي ، على أن يكون واضحا أنه يختلف تماما عن مصطلح « التقصير » الذي يراد به هنا إنقاص حرف المد بحيث يتحول من حركة طويلة إلى حركة قصيرة ، كما في تحول واو المد في « ندعو » إلى ضمة في مثل قوله تعالى : ﴿ سندعُ الزبانية ﴾ ، وهنا سنستخدم المصطلحات الآتية :

١ - المطل : وهو زيادة المط في حرف المد ، وهو يرادف المد الفرعي أو المد (فقط) أو المد غير الطبيعي عند أهل الأداء .

٢ - القصر : وهو الإبقاء على حرف المد دون زيادة ، وهو يرادف المد الطبيعي أو الأصلي .

٣ - التقصير : وهو إنقاص زمن النطق بحرف المد حتى يتحول إلى

---

(١) النشر ١/ ٣١٣ .

الحركة القصيرة المجانسة له [١] .

٤ ـ التطويل : ونريد به هنا زيادة في الحركة القصيرة تتحول بها إلى حرف من حروف المد [٢] ، ولم يرد مثل هذا النوع في القرآن الكريم .

أسباب المطل (المد الفرعي)

لما كان المد الطبيعي أو القصر في اصطلاح علماء الأداء هو النطق بحروف المد كما هي دون زيادة أو نقصان ـ ذلك أن صاحب الطبيعة السليمة لا يُنقصه عن حده ولا يزيد عليه ـ لم يحتج ذلك إلى سبب ، وذلك بخلاف المد الفرعي الذي يزيد عن ذلك المد الطبيعي لسبب أوجبه ودعا إليه ، ويتمثل ذلك في أسباب معنوية وأخرى لفظية .

الأسباب المعنوية

تتلخص الأسباب المعنوية للمطل في أمرين ، أحدهما : إظهار التعظيم ، والآخر : تأكيد النفي ، ويطلق على النوع الأول : مد المبالغة ، وذلك كما في مطل الألف في « لا إله إلا الله » ، و« لا إله إلا هو » ، وذلك عند من يقصرون حرف المد إذا التقت به الهمزة في كلمة أخرى ، أما الثاني فيطلق عليه : مد التبرئة ، وذلك كما في مطل الألف في قوله سبحانه : ﴿ لا ريبَ فيه ﴾ ، ﴿ لا شيَة فيها ﴾ [٣] .

---

(١) لم يتحدث علماء الأداء القرآني عن هذا الذي أسميناه التقصير ، حيث إنه مظهر من مظاهر الضرورة الشعرية ، ولا ضرورة في القرآن الكريم ، وعندما يكون التقصير بسبب التقاء الساكنين فإنهم اعتبروا ذلك حذفا .

(٢) ولهذا النوع أمثلة أشار إليها ابن جني تحت ما أسماه مطل الحركات ، مثل : « انظور » في « انظر » (الخصائص ٣/ ١٢٣ وما بعدها) .

(٣) أشار الصوتيون العرب إلى سبب معنوي آخر لمطل حروف المد ، هو أن يوقف عليها عند التذكر ، وذلك كأن تريد أن تقول : أخواك ضربا محمدا ، فتنسى =

الأسباب اللفظية :

تنحصر الأسباب اللفظية للمطل في أمرين ، هما أن يأتي بعد حرف المد همزة أو حرف ساكن للتضعيف أو الوقف في نفس الكلمة .

وقد علل الصوتيون العرب لذلك « بأن الهمزة حرف نأي منشؤه وتراخي مخرجه ، فإذا أنت نطقت بهذه الأحرف المصوتة قبله ، ثم تماديت بهن نحوه ، طلن وشعن في الصوت ، فوقين له وزدن في بيانه ومكانه ، وليس كذلك إذا وقع بعدهن غيرها (الهمزة) وغير المشدد » [١] ، ووَجَّهَ ذلك علماء الأداء بـ « أن أحرف المد خفية ، والهمز صعب ، فزيد في الخفي ليتمكن من النطق بالصعب » [٢] ، أي الهمزة على حقها من شدتها وجهرها [٣] .

وقد حمل بعضهم المد للهمزة على المد لالتقاء الساكنين [٤] .

أما المد لالتقاء الساكنين ، أي لالتقاء حرف المد بساكن يليه في الكلمة حالة الوصل ، فإنه ضرورة دعت إليها ضرورة الحفاظ على هذا المد والخيلولة دون تحريكه (بالهمزة) أو حذفه ، يقول ابن الباذش :

« والمد لالتقاء الساكنين لا بد منه ، ألا ترى أنه لا يجتمع في

-- كلمة « محمدا » ونقول : أخواك ضربا ، وهنا يجب أن تطل الألف وتزيد في مدها ، يقول ابن جني (الخصائص ٣/ ١٢٨) : « وإنما مطلت هذه الأحرف في الوقف وعند التذكر من قبل أنك لو وقفت عليها غير مطولة ولا ممكنة المُدّة لم تُوجد في لفظك دليلا على أنك متذكر شيئا ، وهذا النوع لا يوجد في القرآن الكريم ، لأن الله سبحانه جل عن أن ينسى شيئا فيذكره » .

(١) الخصائص ٣/ ١٢٥ .

(٢) النشر ١/ ٣١٤ .

(٣) نهاية القول المفيد ص ١٣٣ .

(٤) الإقناع لابن الباذش ١/ ٤٦٣ .

الوصل ساكنان في كلامهم ، وأنه لا بد من تحريك أو حذف ، وهذا المد (المطل) في الضالّين وبابه عوض عن الحركة .. ألا تراهم في المنفصل (أي إذا كان المد في كلمة والساكن في أخرى) قد فروا إلى الحذف نحو : " قالوا اطيرنا " ، و" فسوف يأتي الله " »[١] ، وقد أكد ذلك السيوطي فقال : « ووجه المد للسكون التمكن من الجمع بين ساكنين فكأنه قام مقام حركة »[٢] .

إن التفسير الصوتي للمطل قبل الهمزة يمكن أن يضاف إليه أن الهمزة تقتضي وضع الغلق المحكم للأوتار الصوتية ، أما حرف المد فإنه يقتضي وجود فتحة ضيقة تنتج اهتزاز الوترين ، ومن ثم كانت الزيادة في المد قبل الهمزة تمكين لوضع الاهتزاز وزيادة بيان حرف المد ، أما عندما يلتقي حرف المد بساكن ، فإن لذلك علاقة بنظام المقاطع الصوتية في اللغة العربية ، لأن الذوق العربي لم يألف في حالة الوصل أن يختم المقطع بصامت بعد حركة طويلة ، ومن ثم فإن المقطع الرابع الذي يرمز له بـ (ص + ح ح + ص) من شأنه ألا يأتي وصلا ، فإذا أوجب النظام الصرفي وروده كما في صياغة فعل الأمر من الأجوف ، فإن العرب تخلصت من ذلك بتقصير الحركة الطويلة ، فقالوا : بِع وقل ، بدلا من : بِيعْ وقُولْ ، وبهذا نفسر أيضا لماذا قصرت الحركة (وهو ما عبر عنه العلماء العرب بالحذف) في مثل : « قالوا اطيرنا » ، حيث قُصِّرت واو المد وأصبحت ضمة[٣] .

---

(١) الإقناع لابن الباذش ١/ ٤٦٣ .

(٢) الإتقان ١/ ٦٦ .

(٣) وهكذا تغيرت بنية المقطع الثاني في « قالوا اطيرنا » من (ص + ح ح + ص) إلى (ص + ح + ص) .

إن هناك صيغا أخرى لا يصلح فيها هذا النوع من تقصير الحركة الطويلة أو حرف المد ، حيث يؤدي ذلك إلى اللبس والتداخل بين صيغة وأخرى ، من ذلك على سبيل المثال التباس صيغة الرباعي « فَاعَلَ » بصيغة الثلاثي « فَعَل » من المضعف ، مثل : حَاجَّ ، وحَجَّ ، وكما في التباس صيغة المصدر بصيغة اسم الفاعل في مثل : رَدٌّ ، ورَادٌّ ، وفي هذه الحالة فإن العربية تحاول أن تحافظ على أمن اللبس بالإبقاء على الحركة الطويلة مع مطل فيها حتى تأمن من التقصير الذي يؤدي إلى اللبس .

أما إذا كان السكون الذي يلي الحركة الطويلة ليس مما تقتضيه ضرورة الصياغة التصريفية بأن يكون عارضا للوقف ، فإنه أي المطل حينئذ يصبح أمرا جوازيا ، حيث يغتفر في الوقف ما لا يغتفر في الوصل لاختلاف طبيعة التكوين المقطعي في الحالتين .

أنواع المد وأحكامه

للمد أنواع عديدة والقاب مختلفة ، أوصلها بعضهم إلى أربعة وثلاثين نوعا [١] ، وسنكتفي هنا ببيان أهم هذه الأنواع وأحكامها ، وفقا للمجمع عليه من ذلك ، أو ما جاءت به رواية حفص عن عاصم ، وقد سبق أن ذكرنا أن المد قد يكون بسبب الهمزة أو الساكن ، فإن كان بسبب الهمزة فقد يكون متصلا بها في كلمة واحدة ، وقد يكون منفصلا عنها ، بحيث يكون المد في آخر كلمة والهمزة في بداية الكلمة التالية ، فإذا كان المد بسبب الساكن فإما أن يكون هذا السكون لازما ، وإما أن يكون عارضا ، ويتحصل من ذلك أربعة أنواع ، هي :

---

(١) ذكر صاحب نهاية القول المفيد من ذلك واحدا وعشرين نوعا ، انظرها والقابها في النهاية ص ١٤٠ .

١ ـ المد المتصل ، وهو الذي ترد فيه الهمزة بعد حرف المد [١] في كلمة واحدة ، ومن أمثلته : ﴿ وما تشاءون إلا أن يشاء الله ﴾ ، وحكمه : وجوب المد باتفاق القراء .

٢ ـ المد المنفصل ، وهو أن يأتي حرف المد في آخر الكلمة ، وتأتي الهمزة في أول الكلمة التالية ، ومن أمثلته قوله تعالى : ﴿ بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك .. ﴾ ، وحكمه : جواز المد والقصر ، حيث مده أكثر القراء ، وقصره بعضهم (ابن كثير ، والسوسي) ، وقد اختار عاصم المد [٢] ، ومن ثم فلا بد من مده عند من قرأ بقراءته .

٣ ـ المد اللازم ، وذلك إذا جاء بعد حرف المد ساكن لزوما في كلمة واحدة [٣] ، وقد سمي بذلك إما لأنه يلزم في كل قراءة على قدر واحد [٤] ، وإما أن يكون على حذف مضاف ، أي ذو الساكن اللازم ، وقد يسمى أيضا بمد العدل ، ولهذا المد صور أربع :

الأولى : أن يكون الساكن الذي بعد حرف المد مدغم وجوبا ، مثل : « الطّآمّة ، الصّآفّات » ، ويطلق على هذه الصورة : « اللازم الكلمي المثقل » .

---

(١) قد ترد الهمزة قبل حرف المد في مثل « آمنوا » و« نأى » .. إلخ ، وقد اختلف فيه أهل الأداء بين من يمد (يمطل) أو يقصر ، كما اختلفوا أيضا في مرتبة هذا المد ، وحكم هذا النوع القصر في رواية حفص عن عاصم . انظر : النشر ١/ ٣٣٨ .

(٢) نهاية القول المفيد ص ١٣٤ .

(٣) فإن التقى حرف المد بساكن في كلمة أخرى ، وجب تقصيره كما في قوله تعالى : ﴿ سندع الزبانية ﴾ ، ويعبر الصوتيون العرب وعلماء الأداء عن هذه الحالة بالحذف .

(٤) وقيل : سمي لازما للزوم سببه في حالي الوصل والوقف . انظر : النشر ١/ ٣١٧ ، ونهاية القول المفيد ١٣٧ .

الثانية : أن يكون بعد حرف المد ساكن لغير الإدغام وسكونه لازم حَالَيْ الوصل والوقف ، وذلك كما في قوله تعالى : ﴿ آلآن ﴾ ، وذلك بإبدال الهمزة عند جميع القراء عدا نافع ، وكما في : « محياىْ » بسكون الياء في قراءة نافع ، ويطلق على هذه الصورة : « اللازم الكلمي المخفف » .

الثالثة : أن يكون حرف المد وسطا وبعده ساكن غير مدغم في فواتح السور المكونة من ثلاثة أحرف ، كما في « نْ » ، « قْ » ، ويطلق على هذه الصورة : « اللازم الحرفي المخفف » .

الرابعة : أن يكون حرف المد في فواتح السور وبعده ساكن مدغم كما في : « الٓمّ » ، حيث أدغمت ميم « لام » في الميم الأولى من « ميم » وتسمى هذه الصورة بـ « اللازم الحرفي المثقل » [1] .

٤ ـ المد العارض ، وضابطه أن يأتي بعد حرف المد ساكن عارض ، إما للوقف كما في : « العَالَمِينْ » و« الدِّينْ » و« نَسْتَعِينْ » ، وإما للإدغام عند بعض القراء ، وذلك مثل الإدغام الكبير عند أبي عمرو كما في قوله تعالى : « فلا أَنْسَابْ بَيْنَهُم » ، حيث عرض السكون في باء أنساب لأجل الإدغام ، والأصل في ذلك أن تحرك بالفتح عند غير أبي عمرو ، وحكم هذا النوع جواز المد لاجتماع الساكنين اعتداداً بالعارض والقصر لعروض السكون وعدم الاعتداد به ، ويجوز أيضا أن يجعل في منزلة وسط بين القصر والمد .

---

(١) انظر : النشر ١/ ٣١٧ ، ونهاية القول المفيد ١٣٧ ، وقارن بالمدخل إلى فن الأداء ص ١٣٠ .

مد الصلة

يطلق علماء الأداء على ضمير المفرد الغائب المتصل في نحو : لَهُ ـ بِهِ ـ منهُ ، مصطلح « ضمير الصلة » ، ذلك أنهم يصلون هذه الهاء بواو إن كانت مضمومة ، وبياء إذا كانت مكسورة ، فمتى تضم الهاء ومتى تكسر ؟ .

الأصل أن تكون حركة هذا الضمير مضمومة ؛ لأنها في المنفصل كذلك ، ولكن يعرض لها الكسر إن سبقت بياء أو كسرة مثل : فِيهِ ، بِهِ .

وتوصل هذه الضمة بواو ، كما توصل الكسرة بياء ، بمعنى أن ضمة الهاء تصبح واو مد ، وكسرة الهاء تصبح ياء مد ، وعلامة ذلك في المصحف إلحاق واو صغيرة بعد الهاء المضمومة ، وياء صغيرة مردودة إلى الخلف بعد الهاء المكسورة ، وذلك مثل : ﴿ إن ربهۥ كان بهۦ بصيرا ﴾ ، ويطلق على هذه الواو « واو الصلة » ، وعلى الياء « ياء الصلة » ، وهذه الصلة بنوعيها تعد من المد الطبيعي ، أي بمقدار حركتين ، فإذا جاءت الهمزة بعد أي منهما تحول المد الطبيعي إلى مد منفصل بسبب هذه الهمزة ، وذلك المد يقدر عند عاصم بأربع أو خمس حركات ، ومن أمثلة ذلك : ﴿ إن لهۥٓ أبا شيخا كبيرا ﴾ [يوسف : ٧٨] ، وقوله سبحانه : ﴿ والذين يصلون ما أمر الله بهۦٓ أن يوصل ﴾ [الرعد : ٢١] .

هذا في الوصل ، أما في حالة الوقف على الضمير فإنه تسقط حركة الهاء كما يسقط مد الصلة طبيعيا كان أم منفصلا .

وفي رواية حفص عن عاصم لا تلحق هذه الواو أو الياء بالضمير إلا إذا تحرك ما قبلها وما بعدها ، ولا يستثنى من هذه القاعدة سوى

الحالات التالية :

١ ـ الهاء في قوله تعالى : ﴿ يَرْضَهُ لكم ﴾ حيث ضم الهاء بدون صلة .

٢ ـ الهاء في قوله تعالى : ﴿ أرجهْ وأخاه ﴾ حيث سكن الهاء .

٣ ـ الهاء في قوله تعالى : ﴿ فألقَه إليهم ﴾ حيث سكن الهاء .

٤ ـ الهاء في قوله سبحانه : ﴿ ويخلد فيهِ مهانا ﴾ حيث ألحقها بالياء مع سكون ما قبلها .

ويدل هذا الاستثناء على أن القراءة سنة متبعة ، وأن القراء نقلوا ما تلقوه دون زيادة أو نقصان .

مراتب المد

اختلف العلماء في تقدير المدة الزمنية التي يستغرقها المطل أو المد ، وقد وصل بعضهم بذلك إلى سبع مراتب ، أولاها القصر ، وقدِّرت بحركتين ، أي بمقدار بسط الإصبع وقبضه ، ويسمى بمقدار ألف ، والثانية قدرت بألفين ، أو ألف ونصف ، والثالثة فوقها قليلا ، وهي بمقدار ثلاث ألفات ، وهي مرتبة التوسط ، وقدرت الرابعة بأربع ألفات ، والخامسة فوق الرابعة قليلا ، وقدرت بخمس ألفات أو بأربع ونصف ، والسادسة فوق ذلك ، وقدرت بخمس ألفات عند من قدر الخامسة بأربع ونصف ، والسابعة بمقدار ست ألفات ، وهي الإفراط .

يقول ابن الجزري : « اعلم أن هذا الخلاف لا تحقيق وراءه ، بل يرجع إلى أن يكون لفظيا ، وذلك أن المرتبة الدنيا وهي القصر إذا زيد عليها أدنى زيادة صارت ثانية ، ثم كذلك حتى تنتهي إلى القصوى ... »

ثم قال ـ لا فض فوه ـ : « وهذا تحكمه المشافهة وتوضحه الحكاية وبيينه الاختبار »[١] .

والذي روى عن عاصم أنه يمد المتصل والمنفصل بمقدار أربع حركات أو خمس[٢] ، ووجه التفاوت في هذا المد (المطل) إنما هو لمراعاة سنن القراءة ، وذكر صاحب البرهان أن أقوى المدود اللازم فالمتصل فالعارض للسكون فالمنفصل فالبدل[٣] ، وقد أشار إلى ذلك بعضهم فقال :

أقوى الممدود لازم فما اتصل

فعارض فذو انفصال فبدل[٤]

وإذا جاز لنا أن نستخدم وسائل القياس الحديثة ، فإننا نستطيع أن نقدر هذه المراتب بأجزاء من الثانية ، فنقول إذا كان متوسط طول حرف المد هو كما قدره العاني في حال الانفراد[٥] بـ ٠,٦ من الثانية[٦] ، فإن المد بمقدار ألفين يكون ١,٢ من الثانية ، والمد بمقدار ثلاث ألفات ١,٨ من الثانية ، وهذه هي المرتبة التي أطلقوا عليها مرتبة التوسط ، ونستطيع على ضوء ذلك أيضا أن نقدر المد في قراءة حفص عن عاصم بأنه إما ٢,٤ ، أو ٣ ثواني ، وهذا هو المقصود بأربع أو خمس حركات .

---

(١) النشر ١/٣٢٩ .

(٢) نهاية القول المفيد ص ١٢٤ ، وقارن بالمدخل إلى فن الأداء ص ١٢٨ .

(٣) إذا كان حرف المد مبدلا من الهمزة كما في : آمن ـ إيمان ، فإن بعض القراء يطيلون زمن النطق به ، وحكمه القصر في قراءة عاصم .

(٤) البرهان في تجويد القرآن للشيخ متحاوي ص ٥٢ .

(٥) أما التقدير السابق وهو من ٢٢٥ إلى ٢٥٠ فهو للحركة في السياق (انظر : ما سبق ص ٨٤) .

(٦) انظر : S. Al - Ani; Arabic phonology. P. 26 .

الإمالة

الإمالة من الخواص الصوتية العارضة التي تتسم بها كل من الفتحة وألف المد ، إذ تعرض لهما في حالات مخصوصة وبشروط معينة ، وإذا كانت هذه الإمالة لم ترد في رواية حفص عن عاصم إلا في موضع واحد من سورة هود ﴿ بسم الله مجريها ومرساها ﴾ ، إلا أن قراء عديدين منهم حمزة والكسائي وأبو عمرو [1] قد قرأوا بها في مواطن عديدة حفلت بها كتب القراءات .

وتعني الإمالة في اللغة : الميل والانحراف .

أما الإمالة في اصطلاح القراء فهي :

أن تنحو بالفتحة ناحية الكسرة ، وبالألف ناحية الياء انتحاء كثيرا أو قليلا .

هذا هو تعريفهم للإمالة ، ولكن ـ لعمري ـ ما هي ناحية الياء أو الكسرة التي يقصدون إليها ؟ .

إننا لا نستطيع أن نفهم ظاهرة الإمالة فهما صحيحا إلا إذا استعملنا حقائق علم الأصوات الحديث الذي يحدد لنا تماما كيف تنطق كل من الكسرة والفتحة من ناحية ، وكل من الياء والألف من ناحية أخرى ، وأول ذلك أن نعرف أن الفرق بين الفتحة والألف ما هو إلا فرق كمي يتعلق بزمن النطق ، وكذلك الأمر بالنسبة للكسرة والياء المدّية ،

---

(١) هؤلاء الأئمة الثلاثة قد تواترت قراءتهم إلى جانب كل من الأئمة : نافع وعاصم وابن كثير وابن عامر ، وقد كان نافع قارئ أهل المدينة ، وابن كثير قارئ أهل مكة ، وأبو عمرو بن العلاء قارئ البصرة ، وابن عامر قارئ أهل الشام ، أما حمزة وعاصم والكسائي فهم قراء الكوفة ، وهؤلاء جميعا هم أصحاب القراءات المتواترة بإجماع الأمة .

وقد ذكر علماء الأصوات المحدثون أن الفتحة والألف من الحركات الأمامية إن كانتا مرققتين ، ومن الحركات الخلفية إن كانتا مفخمتين ، وهما في الحالتين معا من الحركات المتسعة ، أما الكسرة وياء المد فهما معا من الحركات الأمامية أيضا ، ولكنهما يتسمان بالضيق ، ويمثل الشكل التالي موضع كل من هذه الحركات على خريطة الأصوات المعيارية [١] :

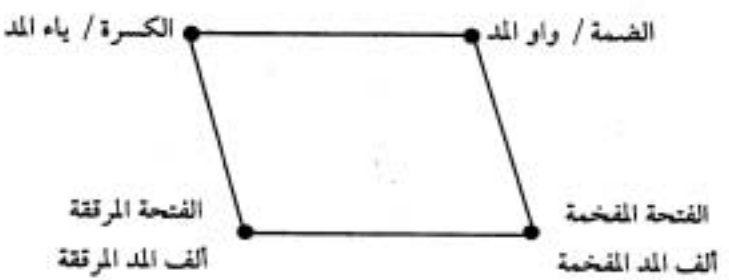

وإذا كان الأصل في الإمالة متعلقا بالفتحة أو الألف المرققين نظرا لأن التفخيم من موانع الإمالة ، أمكن القول بأن كلا من الكسر الخالص والفتح الخالص ، وكذلك ياء المد وألف المد المرققة إنما هي جميعا من الحركات الأمامية التي يعمل فيها مقدم اللسان ، بيد أن الفتح وألف المد حركات متسعة ، والكسرة وياء المد حركات ضيقة ، ومن ثم يكون الانتحاء بالفتحة ناحية الكسرة ، وبالألف ناحية الياء إنما هو اختلاف في درجة ارتفاع اللسان ، وإذا كانت الإمالة شديدة وهي المسماة بالبطح أو الإضجاع ، كانت درجة الارتفاع أكبر ، أما إذا كانت الإمالة قليلة وهي المعروفة بإمالة « بين بين » أو التقليل ، فإن درجة الارتفاع تكون أقل من سابقتها ، وذلك على النحو الذي يوضحه الشكل التالي :

---

(١) انظر : كمالينا : علم أصوات العربية ص ٦٦ .

ومن المعلوم أنه كلما ارتفع اللسان ، ضاقت المسافة التي يتسرب منها الهواء ، وكلما انخفض اتسعت هذه المسافة ، ومن المعلوم أيضا أن الفتحة والألف تمثلان أقصى درجات الانخفاض ، ومن ثم يوسمان بالحركات المتسعة ، ومن المعلوم كذلك أن الكسرة وياء المد تمثلان أقصى درجات الارتفاع ، ومن ثم توصفان بأنهما من الحركات الضيقة ، وينتج عن هذا أن درجتي الإمالة إنما هما درجتان متعلقتان بمدى ارتفاع اللسان ، فإذا افترضنا أن المسافة بين أقصى حالات الانخفاض وحالات الارتفاع هي تسع درجات ، فإن الفتحة وألف المد تكون عند درجة الصفر ، وتكون الإمالة القليلة عند درجة ٣ ، أما الإمالة الشديدة فإنها تكون عند درجة ٩ .

لقد انطلق علماء الأداء القرآني وهم يتحدثون عن الإمالة من المنهج الوصفي الذي يرصد الظاهرة كما هي بغض النظر عن المراحل التاريخية التي مرت بها ، ومن ثم كانت الإمالة عندهم دائما للفتح وللألف ، ولم يتحدثوا عن إمالة الكسرة أو ياء المد نحو الفتحة أو الألف ، وقد كانوا من الذكاء وحدة الذهن بحيث أدركوا أن بعض صور الإمالة إنما هي للمح الأصل بمعنى أن الألف الممالة كان أصلها الياء ، مما يعني أن هذه الياء قد تحولت إلى الألف في مرحلة تاريخية، ونضيف إلى ذلك أننا لو درسنا كل صور الإمالة لوجدنا أن بعضها نشأ من إمالة

الفتحة نحو الكسرة ، والألف نحو الياء ، ولكن بعضها الآخر كان قد نشأ من الانتحاء بالياء نحو الألف ، وبالكسرة ناحية الفتحة ، فمثلا لو نظرنا إلى الإمالات في الكلمات المكتوبة في المصحف بالياء ، لوجدنا أنها مرت بثلاث مراحل مختلفة :

الأولى : بالياء الخالصة ، فكان يقال مثلا : رَمَىَ .

الثانية : بالإمالة المتمثلة بالانتحاء بفتحة الميم نحو الكسرة ، وحذف حركة الياء ، فصارت : رَمِيْ ، وقد احتفظت كثير من اللهجات العربية بهذه الصورة وخاصة في شرقي ووسط الجزيرة العربية .

الثالثة : النطق بالفتح الخالص وتحول الياء الساكنة إلى ألف المد ، وهذه هي الصورة التي كانت شائعة في أرض الحجاز .

وعندما تحدث علماء الأداء القرآني عن الإمالة ، فقد جعلوا الفتح فقط هو النظير غير الممال ، بمعنى أن القراءة في المواضع المختلف فيها بين القراء إما أن تكون بالفتح أو ألف المد فقط ، وإما بالإمالة شديدة أو قليلة ، أما الكسر الخالص وياء المد الخالصة فلا تجوز القراءة بهما .

وسوف نعرض لأسباب الإمالة ومواضعها ووجوهها من خلال النص الذي اقتبسناه من كتاب النشر في القراءات العشر [١] لابن الجزري ، وذلك ما يغني عن ذكرها هنا تجنبا للتكرار .

---

(١) ذكرنا في ص أن القراء السبعة الذين تواترت قراءتهم بإجماع الأمة هم : نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وحمزة وعاصم والكسائي ، أما الثلاثة المتممون للعشرة الذين أورد ابن الجزري قراءتهم فهم : خلف (في الكوفة) ، ويعقوب (في البصرة) ، وأبو جعفر (في المدينة) ، وقراءة هؤلاء الثلاثة متواترة أيضا عند الجمهور .

الباب الثاني

في الوقف والابتداء

أهمية معرفة الوقف

تشكل معرفة الوقوف من الوجهتين النظرية والتطبيقية القسم الثاني من قسمي الترتيل الذي أمرنا الله به عز وجل في قوله : ﴿ ورتل القرآن ترتيلا ﴾ [المزمل : ٤] ، أما القسم الأول فهو ـ كما ذكرنا آنفا ـ تجويد الحروف بإعطاء كل حرف حقه من الصفات اللازمة له ، ومستحقه من الصفات التي تعرض له في السياقات المختلفة .

ومما يدل دلالة أكيدة على أهمية تعلم الوقوف ، ما جاء في الأثر عن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ من قوله : « لقد عشنا برهة من دهرنا وإن أحدنا ليؤتي الإيمان قبل القرآن ، وتنزل السورة على محمد ﷺ فتتعلم حلالها وحرامها ، وما ينبغي أن يوقف عنده منها كما تتعلمون أنتم القرآن اليوم ، ولقد رأينا اليوم رجالا يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان ، فيقرأ ما بين فاتحته إلى خاتمته ، ما يدري ما أمره ، ولا زجره ، ولا ما ينبغي أن يوقف عنده منه » ، قال أبو جعفر النحاس : « فهذا يدل على أنهم كانوا يتعلمون الوقوف كما يتعلمون القرآن » (١) .

وفي حديث أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ « أن النبي ﷺ كان إذا قرأ قطع قراءته آية آية ... » (٢) مما يعني أن الوقف على رؤوس الآي سنة متبعة .

لقد كان تأليف أئمة القراءة في هذه الظاهرة من أسبق أنواع التأليف في علوم القرآن ، إدراكا منهم لأهمية هذه الظاهرة ، وحرصا على الأداء الصحيح المتلقّى عن سيدنا رسول الله ﷺ .

---

(١) القطع والائتناف ص ٧١ .

(٢) سنن الترمذي حديث رقم ٢٩٢٣ ، وقال الترمذي : حسن صحيح غريب .

إنه إذا كان التجويد يؤدي إلى كمال اللفظ وعذوبته ، فإن الوقف الصحيح يؤدي إلى الفهم الصحيح للمعنى ، مما يكشف عن جلاله ودقته ، ولكن ما المعنى الذي يكشف عنه الوقف ؟ هل هو المعنى المعجمي أو المعنى الصرفي أو المعنى النحوي أو المعنى العام ؟ [١] .

إن المعنى المقصود هو المعنى النحوي ككون الكلمة فاعلا أو مفعولا ، صفة أو مبتدأ ... إلخ معاني أبواب النحو ، ولما كان هذا المعنى النحوي يسهم في تكوين المعنى العام للجملة ، أمكن القول بأن الوقف يكشف عن المعنى النحوي ، ومن ثم المعنى العام أو الاجتماعي للجملة .

إن معاني النحو تتسع لتشمل المعاني الإفرادية التي تختص بوظيفة الكلمة في الجملة ، وكذلك المعاني الأسلوبية أو التركيبية التي تشمل الأسلوب أو التركيب بأسره ، ككون المراد خبرا أو استخباراً ، نفيا أو تعجبا ، أمراً أو نهياً ... إلخ ، وهنا فإننا نعتبر الوقف أو السكت بمثابة ملمح أدائي يؤدي وظيفة نحوية ، ومن أمثلة ذلك :

جاء في سورة آل عمران [آية : ٧] : ﴿ وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب ﴾ ، فالوقف على لفظ الجلالة ينفي عن الراسخين علم التأويل ويقصره على المولى عز وجل ، أما الوقف على لفظ العلم فإنه يعني أن الراسخين يعلمون التأويل أيضا (بما علمهم الله إياه) ، ويمكن إيجاز

---

(١) المراد بالمعنى المعجمي أو الوضعي : تلك الصورة الذهنية التي يستدعيها اللفظ عند سماع اللفظ ، أما المعنى الصرفي فهو المعنى المستفاد من صيغة الكلمة ككونها اسما أو فعلا ماضيا أو مضارعا ، أما المعنى النحوي فهو المستفاد من موقع الكلمة في الجملة أو من علاقتها الإعرابية ، وأما المعنى العام فهو جماع كل تلك المعاني مضافا إلى ذلك ما يفيده السياق .

أوجه الاختلاف بين الوقفين فيما يلي :

أولا : في الوقف الأول تكون الواو للاستئناف ، وفي الثاني تكون للعطف .

ثانيا : في الوقف الأول تكون « الراسخون » مبتدأ ، وفي الثاني تكون معطوفة على الفاعل وهو لفظ الجلالة .

ثالثا : في الوقف الأول تكون الجملة الأولى قد تمت وتكون « الراسخون » من جملة جديدة مستأنفة ، أما في الوقف الثاني فتكون الراسخون في العلم تتمة الجملة الأولى .

لقد اختلف القراء والنحاة في الوقف على أي الموضعين ، ولكل من الفريقين وجهة نظر لا يمكن الطعن فيها على نحو قاطع ، وممن ذهب إلى الوقف في الموضع الأول : نافع ويعقوب والكسائي ، ومن النحاة : الأخفش والفراء وابن كيسان ، وقد ذهب إلى الثاني فريق من العلماء منهم : الراغب الأصفهاني ، وابن الحاجب [١] ، وقد وضعت في المصحف الشريف (طبعة المدينة) علامة « قلى » بعد لفظ الجلالة إشارة إلى أن الوقف الأول أولى مع جواز الوصل أيضا ، وفي هذا ترجيح لرأي الفريق الأول ، أما في طبعة الأزهر الشريف فقد وضع بعد لفظ الجلالة العلامة « مـ » للإشارة إلى لزوم الوقف ، مما يعني اختيار الرأي الأول فقط وعدم الإشارة إلى الرأي الآخر .

---

(١) تنظر هذه المسألة مفصلة في : الوقوف اللازمة في القرآن الكريم ، للدكتور حمدي عبد الفتاح ص ٥٥ وما بعدها ، ومدخل إلى علم الوقف والابتداء للدكتور محمد سلامة ص ٦٠ وما بعدها ، وقد ذكر هذان الباحثان جل المصادر التي تناولت هذه الآية الكريمة من كتب الوقف والابتداء وكتب النحو والتفسير ، فأغنى ذلك عن الإعادة عنها .

إن الآثار الدلالية لظاهرة الوقف قد ينجم عنها في أحيان كثيرة اختلافات عقدية وفقهية ، كما أنها قد تؤثر أيضا في الأحكام الصوتية التي تختلف باختلاف حالتي الوصل والوقف ، وسنعرض فيما يلي - بإيجاز - لمفهوم الوقف وأنواعه وآثاره الصوتية .

علم الوقف والابتداء

تعد ظاهرة الوقف والابتداء من أهم الظواهر القرآنية التي شغلت بال القراء والنحاة وعلماء القراءات ومؤلفي علوم القرآن الكريم ، ولقد بدأ التأليف فيها مبكرا على أيدي القراء منذ مطلع القرن الثاني الهجري ، وكان من هؤلاء القراء الإمام ابن عامر قارئ أهل الشام (١١٩هـ) ، وقد نسب إليه كتاب « المقطوع والموصول في القرآن الكريم » ، كما عزى كتاب في « الوقوف » لشيبة بن نصاح (١٣٠هـ) ، أما أبو عمرو ابن العلاء قارئ أهل البصرة (١٤٥هـ) فقد ألف كتاب « الوقف والابتداء » .

وفي القرن الرابع الهجري اثيرت طائفتان من العلماء للتأليف في هذه الظاهرة ، وكان كتاب ابن الأنباري (٣٠٤هـ) « إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل » [١] ، وكتاب أبي جعفر النحاس (٣٣٨هـ) « القطع والائتناف » [٢] من أهم الكتب التي تناولت هذا الموضوع من الوجهتين النظرية والتطبيقية .

وفي القرن الخامس أيضا ألف أبو عمرو الداني (٤٤٤هـ) كتاب « المكتفي في الوقف والابتداء » ، كما ألف معاصره مكي بن أبي طالب

---

(١) حقق الكتاب في دمشق ١٩٧١ الدكتور محيي الدين رمضان ، وانظر في تاريخ وفاته : نزهة الفضلاء جـ ٢ ص ١١١٢ .

(٢) حقق الكتاب في بغداد ١٩٧٨ الدكتور أحمد خطاب العمر .

القيسي (٤٢٧هـ) عدداً من الكتب المتعلقة بالوقف والابتداء ، منها : الهداية في الوقف ، والوقف على : كلا وبلى ، شرح التمام والوقف ، ومنع الوقف على قوله تعالى : ﴿ إن أردنا إلا الحسنى ﴾ ، وغير ذلك[١].

وإضافة إلى هؤلاء الذين أفردوا ظاهرة الوقف بالتأليف تناول الموضوع أيضا كثير من المفسرين مثل : الطبري والقرطبي وابن كثير وأبي حيان والزمخشري وغيرهم ، وقد تناولها أيضا لفيف من العلماء ضمن أبواب الأصول في كتب القراءات ، وذلك كما فعل أبو عمرو الداني في كتاب « التيسير » ، وابن الجزري في كتاب « النشر في القراءات العشر » ، وأخيرا فإن مؤلفي كتب « علوم القرآن » مثل الزركشي في كتابه « البرهان في علوم القرآن » ، والسيوطي في كتابه « الإتقان في علوم القرآن » ، وقد عَدَّا هذه الظاهرة نوعا من أنواع علوم القرآن .

وفيما يلي سنعرض للتعريف بهذه الظاهرة وأنواعها وأحكامها ، كما سنعرض للظواهر المتصلة بها مثل السكت والقطع من الناحيتين الدلالية والصوتية .

* * *

(١) انظر قائمة مؤلفات مكي بن أبي طالب عن « الوقف » في « مدخل إلى علم الوقف والابتداء » للدكتور محمد سلامة ص ٢٩ وما بعدها ، وقد تناولها ضمن قائمة المؤلفات في « الوقف والابتداء » ، والتي قاربت الثمانين مؤلفا ، انظر هذه القائمة في الصفحات ٢١ - ٣٨ من الكتاب المذكور .

أولا : الوقف

تعني مادة (و ق ف) في اللغة : التمكث في شيء [١] ، ومن ذلك : وَقَفَ الدابة وأوقفها ، إذا حبسها عن الحركة ، والوقف في الكلام والتوقف عنه بمعنى : قطعه .

أما في الاصطلاح فيعني : قطع الصوت على الكلمة زمنا يتنفس فيه عادة بنية استئناف القراءة [٢] .

ولا يكون الوقف إلا في نهاية الكلمة التي قد تكون رأس آية كما في الوقف على « يفلحون » في قوله سبحانه : ﴿ ... أولئك هم المفلحون ﴾ [البقرة : ٥] ، وقد تكون وسط الآية كما في الوقف على « يسمعون » في قوله عز من قائل : ﴿ إنما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله ... ﴾ [الأنعام : ٣٦] .

أقسام الوقف

قسم علماء الأداء الوقف إلى قسمين أساسيين هما :

١. الوقف الاضطراري : وهو الذي يحدث نتيجة لانقطاع النفس وما أشبهه من عجز أو نسيان ، وحكم ذلك الجواز على أي كلمة كانت بغض النظر عن تمام المعنى ، وذلك كأن يقف على الشرط دون جوابه ، أو الموصول دون صلته ، أو المضاف دون المضاف إليه ، أو غير ذلك مما يسمى بالضمائم ، أي العبارات التي تنضام في الظروف العادية ، ولا يتم الكلام إلا بانقضائها جميعا .

---

(١) مقاييس اللغة لابن فارس ٦/ ١٣٠ .

(٢) نهاية القول المفيد ١٥٣ .

٢.**الوقف الاختياري** : وهو قطع النفس اختيارا بعد كلمة يتم المعنى بها ، ولما كان من الطبيعي أن القارئ ليس في استطاعته أن يقرأ السورة كاملة أو القصة الطويلة في نفس واحد ، وجب حينئذ اختيار وقف للتنفس والاستراحة ، وتعين ارتضاء ابتداء بعد ذلك ، وتحتم ألا يكون ذلك مما يخل بالمعنى أو الفهم [١] .

أنواع الوقف

قسم العلماء الوقف الاختياري إلى أنواع عديدة باعتبار أماكنه إلى :

١.**الوقف التام** [٢]

وهو الوقف على ما ليس له تعلق بما بعده لا من جهة المعنى ولا من جهة اللفظ ، وهذا يوقف عليه ويبتدأ بما بعده ، وأكثر ما يكون في رؤوس الآي وانقضاء القصص ، ومن أمثلته :

ـ الوقف على « الدين » في قوله تعالى : ﴿ مالك يوم الدين ﴾ والابتداء بـ ﴿ إياك نَعْبد ... ﴾ [الفاتحة] .

ـ الوقف على « عليهم » والابتداء بـ « وإذ » في قوله سبحانه : ﴿ وهو بكل شيء عليم ، وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة ... ﴾ [البقرة : ٢٩ ، ٣٠] .

---

(١) باختصار وتصرف يسير من النشر ١/ ٢٢٥ ، وقد أضاف صاحب « نهاية القول المفيد » قسمين آخرين للوقف ، هما : الوقف الانتظاري ، والوقف الاختباري . انظر في معنى هذين النوعين : المرجع المذكور ص ١٥٤ .

(٢) تكاد تتفق تعريفات علماء الأداء لأنواع الوقف الاختياري ، وليس لنا في ذلك سوى تبسيط العبارة . انظر في ذلك : النشر ١/ ٢٣٨ وما بعدها ، ونهاية القول المفيد ص ١٥٥ ، والإتقان ١/ ١١٢ ، والمدخل إلى فن الأداء ص ١٣٣ .

٢.الوقف الكافي

وهو الوقف على كلمة تتعلق بما بعدها من حيث المعنى (العام) ولا تتعلق به لفظا ، أي من جهة البناء النحوي للجملة ، مثال ذلك :

ـ الوقف على « خليفة » في قوله تعالى : ﴿ إنّي جاعلٌ في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ... ﴾ [البقرة : ٣٠] .

ـ الوقف على « السفهاء » في قوله تعالى : ﴿ ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون ﴾ [البقرة : ١٣] .

٣.الوقف الحسن

والمراد به الوقف على كلمة تتعلق بما بعدها لفظا ومعنى دون أن يخل هذا الوقف بالمعنى العام للجملة ، ومن أمثلة ذلك :

ـ الوقف على « المستقيم » في قوله سبحانه في الفاتحة : ﴿ اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم ﴾ فـ « صراط الذين » بدل مما قبلها .

ـ الوقف على قوله « لله » في الآية الكريمة : ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ .

ولا يحسن الابتداء بما بعد الوقف الحسن إلا إذا كان الموقوف عليه رأس آية كما في المثال الأول .

٤.الوقف القبيح

وهو الوقف على كلمة تتعلق بما بعدها لفظا ومعنى ولا يفيد الكلام المعنى المقصود عند ذلك الوقف ، ويندرج تحت ذلك قسمان :

أحدهما : لا يفيد معنى أصلا كالوقف على « الذين » في قوله

سبحانه في الفاتحة : ﴿ صراط الذين أنعمت عليهم ﴾ ، ومثل ذلك الوقف على سائر الحروف وأدوات المعاني ، وكالوقف على المضاف .

ثانيهما : أن يفيد معنى غير المراد كالوقف على « الصلاة » في قوله سبحانه : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى ... ﴾ [النساء : ٤٣] ، ومن ذلك : الوقف على ما يحيل المعنى ويفسده كالوقف على « الموتى » في قوله تعالى : ﴿ إنما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله ﴾ [الأنعام : ٣٦] ، ولا يجوز تَعَمُّد الوقف على هذا النوع ، فإذا اقتضت ذلك ضرورة من الضرورات فإنه يبتدأ بما قبل الوقف على حسب ما يقتضيه المعنى ، وقد لخص صاحب نهاية القول المفيد المواضع التي يقبح عندها الوقف فقال : « اعلم أن كل كلمة تعلقت بما بعدها بأن يكون ما بعدها من تمامها ، لا يوقف عليها (اختيارا) ، كالمضاف دون المضاف إليه ، والموصوف دون صفته ، والرافع دون مرفوعه ، والناصب دون منصوبه ، والمعطوف دون المعطوف عليه ، ولا إن وأخواتها دون أسمائهن ، ولا على أسمائهن دون أخبارهن ... إلخ »[1] .

٥.وقف المعانقة

يراد بوقف المعانقة أو المراقبة أن يجتمع وقفان في موضع واحد بحيث إذا وقف القارئ على أحدهما فلا يصح له الوقف على الآخر حتى لا يختل المعنى ، وقد ذكر علماء الأداء لهذا النوع خمسة وثلاثين موضعا في القرآن الكريم ، منها :

ـ الوقف على « ريب » يعانق الوقف على « فيه » في قوله تعالى :

---

(١) انظر أمثلة أخرى عديدة في نهاية القول المفيد ص ١٦٧ وما بعدها .

﴿ ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ﴾ [البقرة : ٢] .

ـ الوقف على لفظ الجلالة يعانق الوقف على « العلم » في قوله سبحانه : ﴿ وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم ﴾ [آل عمران : ٧] [١] .

أحكام الوقف وعلاماته

ذكر بعض أهل الأداء أحكاما للوقف ، وسجل علماء الضبط رموزا لهذه الأحكام في الرسم القرآني ، فما هذه الأحكام ؟ وما الرموز التي تدل عليها ؟ .

تنحصر أحكام الوقف كما سجلها علماء الضبط والأداء في :

١. الوقف اللازم

ورمزه في رسم المصحف « م » فوق نهاية الكلمة التي يلزم الوقف عندها ، وقد يسمى بالوقف الواجب ، والمراد به كما يقول ابن الجزري : « ما يتأكد استحبابه لبيان المعنى المقصود وهو ما لو وصل طرفاه لأوهم معنى غير المراد وليس معناه الواجب عند الفقهاء أي الذي يعاقب تركه » [٢] مثال ذلك :

ـ الوقف على « قَوْلُهم » في قوله المولى سبحانه : ﴿ ولا يَحْزُنْكَ قَوْلُهم إنَّ العِزَّة لله جميعا ﴾ ، ويلزم من ثم أن يكون الابتداء بـ ﴿ إن العزّة ... ﴾ [يونس : ٦٥] ، حتى لا يظن أن ذلك من قولهم .

وقد تترك علامة الوقف اللازم إذا كان الموقوف عليه رأس آية ، وذلك كما في قوله تعالى : ﴿ وكذلك حقت كلمة ربك على الذين

---

(١) انظر بقية الأمثلة في : نهاية القول المفيد ص ١٧٣ .

(٢) النشر ١/ ٢٣٢ .

كفروا أنهم أصحاب النار ۞ الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ... ﴾ [غافر : ٦ ، ٧] ، فالوقف هنا على « النار » والابتداء بـ « الذين » حتى لا يتوهم متوهم أن الذين وصلته نعت لـ « أصحاب » .

٢.الوقف الممتنع

ورمزه في المصحف « لا » فوق الكلمة التي يمتنع الوقف عليها ، ومعنى ذلك ألا يبتدأ بما بعده ولو اضطر إلى ذلك مضطر لانقطاع النفس عند ذلك ، فإن عليه أن يبتدئ بما قبله ، ومن أمثلة ذلك : قول الله تعالى : ﴿ الذين توفاهم الملائكة طيبين ۙ يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة ... ﴾ [النحل : ٣٢] ، ومنه أيضا قوله عز وجل : ﴿ أربع شَهَادَاتٍ بِاللهِ ۙ إِنَّهُ لَمِنَ الصادقين ﴾ [النور : ٦] .

ومعنى الامتناع هنا عدم جواز الوقف الاختياري الذي يحسن في القراءة ويروق في التلاوة حال الاختيار ولا يريدون به كونه حراما أو مكروها إذ ليس في القرآن الكريم من وقف واحد يأثم القارئ بتركه ولا من وقف حرام يأثم بوقفه .. إلا أن يكون لذلك الوقف سبب يؤدي إلى تحريمه كأن يقصد القارئ الوقف على ﴿ وما من إله ﴾ أو ﴿ أني كفرت ﴾ أو ﴿ إن الله لا يستحي ﴾ وما أشبه ذلك من غير ضرورة ، إذ لا يفعل ذلك مسلم [١] ، ولو فعل ذلك من يقصده كان كافرا .

٣.الوقف الجائز

وهو كل وقف ليس هناك مقتضى للزومه أو امتناعه ، وهو الأصل في باب الوقف ، وقد قسمه علماء الأداء إلى ثلاثة أنواع :

---

(١) نهاية القول المفيد ص ١٦٩ .

الأول : ما جاز فيه الوصل والوقف جوازا مستوي الطرفين ، ورمزه في المصحف « ج » ، ومن أمثلته :

الوقف على « الصلاة » في قوله تعالى : ﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة ۚ وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين ﴾ [البقرة : ٤٥] .

الثاني : ما جاز فيه الوصل والوقف والوصل أولى ، ورمزه في المصحف « صلى » ، ومن أمثلته :

الوقف على « سمعهم » وعلى « غشاوة » في قوله عز من قائل : ﴿ ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم ۖ وعلى أبصارهم غشاوة ۖ ولهم عذاب عظيم ﴾ [البقرة : ٧] .

الثالث : ما جاز فيه الوصل والوقف والوقف أولى ، ورمزه في المصحف « قلى » ، ومن أمثلته :

الوقف على « القدس » في قوله سبحانه : ﴿ وأيدناه بروح القدس ۗ أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم ... ﴾ [البقرة : ٨٧] .

* * *

ثانيا : كيفية الوقف

إذا كانت الأنواع والتقسيمات والأحكام السابقة تتعلق بالوقف من الناحية الدلالية أو جانب المعنى ، فإن للوقف جانبا آخر هو الجانب الصوتي الذي أشار إليه الإمام أبو عمرو الداني بقوله : « اعلم أن من عادة القراء أن يقفوا على أواخر الكلم المتحركات بالسكون لا غير لأنه الأصل (في الوقف) ، ووردت الرواية عن الكوفيين (عاصم وحمزة والكسائي) وأبي عمرو (البصري) بالوقف على ذلك بالإشارة إلى الحركة .. والإشارة تكون روما وإشماما والباقون لم يأت عنهم في ذلك شيء »[١] .

ومعنى الروم : « أن تضعف الصوت بالحركة حتى يذهب بذلك معظم صوتها فتسمع لها صوتا خفيا يدركه الأعمى بحاسة سمعه »[٢] ، ويكون ذلك في المضموم والمكسور ، ولا يكون ذلك في المفتوح لخفة الفتحة .

أما الإشمام فيراد به ضم الشفتين عند الوقف على الكلمات المضمومة لا غير ، وهذه لا يدركها إلا المبصرون[٣] .

وإلى جانب هذه الطرق الثلاثة التي ذكرها أبو عمرو الداني ـ أي الإسكان والروم والإشمام ـ فإن هناك طرقا أخرى هي : النقل[٤] ،

---

(١) التيسير في القراءات السبع ص ٥٨ .

(٢) السابق ، وقد عرفه بعضهم بأنه النطق ببعض الحركة . انظر : الإتقان ١/ ١١١ .

(٣) وقد عرفه السيوطي (الإتقان ١/ ١٤٢) بأنه الإشارة إلى الحركة من غير تصويت ، واشترط في الضمة التي يوقف عليها بالروم أو الإشمام أن تكون غير عارضة .

(٤) المراد بالنقل : نقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها كما في « دفء » يصير « دف »، وهذا في قراءة حمزة .

والإدغام [١] ، والحذف [٢] ، والإثبات [٣] ، والإبدال ، وهذا الأخير هو المعوَّلُ عليه في قراءة حفص عن عاصم مما يقتضي التعريف به في الفقرة التالية :

الوقف بالإبدال

المراد بالإبدال هنا قلب نون التنوين في الكلمات المنصوبة ألفا كما في قوله تعالى : ﴿ رحيما ﴾ بالألف وقفا ، ويستثنى من ذلك جمع المؤنث المنصوب المنون في نحو « سالماتٍ » إذ الوقف عليه يكون بالسكون .

ومن الوقف بالإبدال أيضا قلب تاء التأنيث هاء في المفرد المؤنث كما في « قائمةٍ » التي يوقف عليها بالهاء وحذف الحركة .

الوقف على مرسوم الخط

أجمع علماء الأداء على اتباع المرسوم في المصحف في الوقف إبدالا وإثباتا وحذفا ووصلا وقطعا ، ولم يرد عنهم الاختلاف إلا في أشياء بأعيانها ، كالوقف بالهاء على ما كتب بالتاء ، وبإلحاق هاء السكت في بعض المواقع مثل « عَمَّ » ، وبإثبات الياء في مواضع لم ترسم بها كما في « والٍ » ، والواو في « ويدعوُ الإنسانُ » و« يوم يدْعُ

---

(١) المراد بالإدغام : الوقف على الكلمات المختومة بالهمزة المسبوقة بواو أو ياء زائدتين بإبدال الهمزة واواً أو ياء ثم إدغام الواو في الواو والياء في الياء ، وهذا أيضا من خصائص قراءة حمزة ومن وافقه ، وذلك كما في « نسيء » و« هنيئا » .

(٢) المراد بالحذف : الوقف بحذف الياءات الزوائد عند من يثبتها وصلا ، وذلك معمول به في قراءة نافع وأبي عمرو وحمزة والكسائي .

(٣) المراد بالإثبات : الوقف بإثبات الياءات المحذوفات وصلا كما في « والٍ » .
انظر في الأنواع الأربعة السابقة : النشر ٢/ ١٢٠ ، والإتقان ١/ ١١٢ .

الدَّاعِ » ، وبحذف النون في « كَأَيِّن .. » حيث وقع ، ومن القراء من يتبع الرسم في الجميع [١] ، ويؤخذ من ذلك أن ما كتب موصولا لا يوقف على الأول منه كما في « يأيها » [٢] بخلاف ما كتب مقطوعا ، وذلك كما في « أن لا » في قوله تعالى : ﴿ حقيق علي أنْ لاَ أقول على الله إلا الحق ﴾ [الأعراف : ١٠٥] [٣] ، ويستثنى من ذلك عدم جواز الوقف على « إلْ » في قوله تعالى : ﴿ سَلاَمٌ على إلْ يَاسِين ﴾ [الصافات : ١٢٠] ، وإنْ قطعت في الرسم [٤] .

* * *

(١) بتصرف يسير عن الإتقان ١/ ١١٢ .

(٢) المدخل إلى فن الأداء ص ١٢٧ .

(٣) انظر في المقطوع والموصول ومواضع كل : البرهان في تجويد القرآن للشيخ محمد الصادق قمحاوي ص ٦٠ وما بعدها .

(٤) النشر ٢/ ١٤٧ .

ثالثا : القطع والسكت

يراد **بالقطع** هنا إنهاء القراءة والانتقال منها إلى حالة أخرى [١] ، يقول ابن الجزري : « ويستعاذ بعده للقراءة المستأنفة ، ولا يكون إلا على رأس آية ، إذ لا يجوز تقطيع الآيات لما روي عن أبي الهذيل : " إذا قرأ أحدكم الآية فلا يقطعها حتى يتمها " » [٢] ، وقولهم : « على رأس الآية » أعم من أن تكون في آخر السورة أو في وسطها .

أما **السكت** فالمراد به قطع الكلمة من غير تنفس بنية استئناف القراءة أو هو قطع الصوت زمنا دون زمن الوقف من غير تنفس ، وقد يعبر عنه بالوقفة اليسيرة أو الخفيفة أو اللطيفة أو الوقيفة ، وهي مقيد بالسماع أو النقل ، فلا يجوز إلا فيما صحت الرواية به لمعنى مقصود بذاته [٣] .

القيمة الدلالية للسكت

يعد السكت ـ مثل الوقف تماما ـ من الملامح الأدائية التي تؤدي وظائف نحوية ، وكما رأينا ـ قبلا ـ تأثير الوقف على المعاني النحوية [٣] فإن السكت أيضا يؤثر على هذه المعاني مما يؤدي إلى تغيرها تبعا للموضع المسكوت عليه .

وإذا كان اللغويون والنحاة لم يدرسوا هذه الظاهرة على نحو تفصيلي ، فإنهم ـ وفي مواضع عديدة ـ أشاروا إلى أهمية السكت في

---

(١) أحيانا يراد بـ « القطع » ما يرادف الوقف ، وذلك كما فعل الإمام أبو جعفر النحاس في كتابه « القطع والائتناف » . انظر النص الذي اخترناه من كتاب أبي جعفر ص .

(٢) النشر ١/ ٢٣٩ .

(٣) انظر : ص ١٠٤ من هذا الكتاب .

الكشف عن المعنى المراد [١] ، فهذا السكت هو الملمح الوحيد الذي يميز بين وحدتين نحويتين هما : الفاعل والمفعول به وذلك في قوله سبحانه : ﴿ ويل للمطففين ، الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون ، وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ﴾ ، حيث يصلح الضمير « هم » في كالوهم ، ووزنوهم لأن يكون مفعولا به ولأن يكون فاعلاً (بدل من واو الجماعة) في المعنى ، وهذا الملمح هو ما يسمى بالـ « مفصل » Jancture « وهو عبارة عن سكتة خفيفة بين كلمات أو مقاطع في حدث كلامي بقصد الدلالة على مكان انتهاء لفظ ما أو مقطع ما وبداية مقطع آخر » [٢] .

يقول الزمخشري في تفسير قوله تعالى : ﴿ ويل للمطففين ، الذين إذا اكتالوا علي الناس يستوفون ، وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ﴾ : « والضمير في كالوهم أو وزنوهم ضمير منصوب راجع إلى الناس وفيه وجهان : أن يراد كالوا لهم أو وزنوا لهم فحذف الجار وأوصل الفعل كما قال :

ولقد جنيتك أكمؤاو عساقلا ولقد نهيتك عن بنات الأوبر

---

(١) للسكت أيضا وظائف صوتية تتمثل في منع الإدغام دمغا للبس ، كما في السكت على النون في قوله سبحانه : ﴿ وقيل منّ راق ﴾ [القيامة : ٢٧] .

(٢) أسس علم اللغة ص ٩٥ ، وقارن بـ « دراسة الصوت اللغوي » لأحمد مختار عمر ص ١٩٦ وقد ذكر مارتيوسي أن بعض الكتاب قد ادعى أن اختلاف الدلالة لا يتكون من الوقفة بقدر ما يتكون من إعطاء قيم مختلفة للمصوتات والصوامت (في الأصل السواكن والعلل) وكذلك مخالفة التنغيم ، قلت وهذا الادعاء لا يقلل من قيمة هذا الملمح الأدائي في بيان المعنى النحوي إذ لا مشاحة في اجتماع أكثر من ملمح واحد لأداء نفس الوظيفة وقد ذكر الدكتور أحمد مختار أن هناك في (بعض) اللغات ثنائيات صغرى لا يميز الواحد عن الآخر إلا موضع المفصل ولذلك أسماه اللغويون « فونيم المفصل » .

والخريص يصيدك لا الجواد بمعنى جنيت لك ، ويصيد لك » ، أو أن يكون على حذف مضاف وإقامة المضاف إليه مقامه والمضاف هو المكيل أو الموزون [١] ، ولا يصح أن يكون ضميرا للمطففين لأن الكلام يخرج به إلى نظم فاسد ، وذلك أن المعنى إذا أخذوا من الناس استوفوا وإذا أعطوهم أخسروا وإن جعلت الضمير للمطففين انقلب إلى قولك : إذا أخذوا من الناس استوفوا وإن تولوا الكيل أو الوزن هم على الخصوص أخسروا ، وهو كلام متنافر لأن الحديث واقع في الفعل لا في المباشر (للفعل) [٢] .

ثم ذكر الزمخشري أن هذا الوجه الأخير قد جاءت به القراءة إذ روي « عن عيسى بن عمر وحمزة أنهما كانا يرتكبان ذلك (أي الوجه الخطأ من وجهة نظره) أي يجعلان الضميرين للمطففين ويقفان عند

---

(١) يفهم من كلام الزمخشري هنا أن الفعل « كال » (وكذلك وزن) لا يتعدى إلى المفعول الثاني إلا بواسطة حرف الجر الذي قد يحذف فينصب المفعول على نزع الخافض وقد جاء في كتاب العين (جـ ٥ ص ٤٠٦) أنه يتعدى إلى مفعولين من دون واسطة أو بواسطة اللام فيقال كلته طعاما بمعنى كلت له طعاما ، وجاء في الصحاح (جـ ٥ ص ١٨١٤) أن هذا الفعل قد يتعدى إلى مفعول واحد فيقال : كلت الطعام كيلا ... وقد يتعدى إلى مفعولين فيقال : كلته (الطعام) بمعنى كلت له واستشهد بالآية الكريمة التي معنا ، وعبارة اللسان صريحة في جواز التعدي إلى المفعول الثاني بواسطة وبدون واسطة إذ جاء فيه (ص ٣٩٦٨ ط . دار المعارف) .. وكاله طعاما وكاله له ، ويبدو أن الاختلاف هنا يعود إلى اختلاف لهجي فكانت بعض اللهجات تعديها إلى المفعول الثاني من دون واسطة وهي لغة أهل الحجاز ويعدى بالواسطة في لغة غيرهم وقد نص على ذلك الإمام أبو الحسن الأخفش الذي قال عند تفسير هذه الآية « وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون » أي إذا كالوا الناس أو وزنوهم لأن أهل الحجاز يقولون : كلت زيداً ووزنته أي كلت له ووزنت له . انظر معاني القرآن للأخفش ٢/ ٥٣٣ .

(٢) الكشاف للزمخشري جـ ٤ ص ٢٣٠ .

الواوين وقيفة يبينان بها ما أرادوا »[١] .

إن العبارة الأخيرة تبين بوضوح أن المفصل أو الوقيفة - بعبارة الزمخشري - يتغير بها المعنى النحوي للضمير « هم » وأن عيسى بن عمر وحمزة كانا يعرفان ذلك ويقصدان إليه ، وإذا كان الزمخشري قد اعترض على هذه القراءة ووصف القارئين بأنهما قد ارتكباها فإن علماء آخرين قد نظروا إليها نظرة مغايرة ، وقد رد صاحب الإنصاف على الزمخشري قوله ، وذكر أن هذه القراءة « لا منافرة فيها ولا يجعل هذا القائل (القارئ) الضمير (إذا كان مرفوعا) إلا على مباشره ، والإشعار أيضا فيه بذلك ، وإنما يكون نظم الكلام على هذا الوجه : إذا كان الكيل من جهة غيرهم استوفوه وإذا كان الكيل من جهتهم خاصة أخسروه سواء باشروه أولا وهذا أنظم كلام وأحسنه »[٢] ، وقد أجاز علماء الإعراب القرآني الوجهين معا ، واقتصر علماء المعاني على الوجه الأول[٣] .

---

(١) الكشاف للزمخشري ٤/ ٢٣١ .

(٢) الإنصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال ٤/ ٢٣٠ (مطبوع بهامش الكشاف).

(٣) يقول العكبري (إملاء ما من به الرحمن ٢/ ٢٨٣) قوله تعالى كالوهم في « هم » وجهان أحدهما : هو ضمير مفعول متصل والتقدير كالوا لهم ، وقيل هذا الفعل يتعدى بنفسه تارة وبالحرف أخرى والمفعول هنا محذوف والتقدير كالوهم الطعام وعلى هذا لا يكتب كالوا ولا وزنوا بالألف ، والوجه الثاني أنه ضمير منفصل مؤكد لضمير الفاعل فعلى هذا يكتبان بالألف ، ويقول مكي بن أبي طالب (مشكل إعراب القرآن ٢/ ٨٠٥) : يجوز أن يكون « هم » ضميرا مرفوعا مؤكدا للواو في كالوا ووزنوا فيكتب بالألف ، ويجوز أن يكون ضمير مفعول في موضع نصب بكالوا أو وزنوا فيكتب بغير الألف بعد الواو وهو في المصحف بغير ألف ، وقد ذكر ابن الأنباري نفس عبارة مكي إلا أنه قدم وجه النصب على وجه الرفع كما فعل العكبري ، انظر البيان في غريب اعراب القرآن ٢/ ٥٠٠ ، إن عبارة المؤلفين الثلاثة وهي في المصحف بغير الف قد توحي بأن وجه الرفع مرجوح --

ولهذا السبب فقد حكم العلماء بالخطأ والفساد على من يجعل المفصل في غير موضعه لأن ذلك مما يتغير به المعنى النحوي مثال ذلك أنه « إذا وصل القارئ آخر حرف في كلمة بما بعدها مثل الكاف في " إنا أعطيناك " بـ " الكوثر " بما تحس معه أنه قطع الكاف من " أعطيناك " وصار نطقه " إنا أعطينا كالكوثر " فهذا خطأ تفسد به صلاته ، واستظهر بعضهم أنه إذا سكت على " أعطينا " فهذا خطأ على كل حال في النغمة أو النبر أو التزمين »[1] .

إن الوقيفة الممنوعة هنا تجعل الكاف حرف تشبيه وجر بدلا من معناها الأصلي وهو كونها ضميراً مفعولا به وتصريح العلماء بعدم جواز ذلك هنا دليل على إدراك القيمة النحوية لهذا الملمح الأدائي الذي يصحبه في الغالب تغيير في موضع النبر فعندما تقرأ « كالوهم » بقراءة الجمهور يكون النبر على المقطع « لو » أما في قراءة عيسى بن عمر وحمزة فإن النبر يكون على مقطع « كا » وهنا يجوز لنا أن نفترض وجود ملمحين أدائيين تضافرا لإبراز المعنى النحوي هما : النبر والمفصل (أو الوقيفة)[2] .

= لعدم وجود هذه الألف في رسم المصحف الشريف ، بيد أن هذه الحجة (وهي رسم المصحف) لا يمكن الركون إليها « لأن خط المصحف لم يراع في كثير منه حد المصطلح عليه في علم الخط » كما جاء في الكشاف ٤/ ٢٣١ ، أما أصحاب « معاني القرآن » مثل الأخفش والفراء وأبو عبيدة فلم يذكروا سوى قراءة الجماعة التي تتفق على المعنى الأول الذي ذكره الزمخشري ، انظر : معاني القرآن للأخفش (الأوسط) ٢/ ٥٣٢ ، مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٢٨٩ ، معاني القرآن لأبي زكريا الفراء ٣/ ٢٤٥ .

(١) المدخل إلى فن الأداء للدكتور عبد الغفور جعفر ص ١٤٠ .

(٢) انظر في وظيفة النبر على المستوى النحوي ، علم الصوتيات للدكتور عبد الله ربيع محمود ص ٢٧٨ ، وانظر نظام النبر وموقعه في نفس المرجع ص ٢٨٠ .

لقد ذهب بعض الباحثين إلى وجود هذا الملمح الأدائي في العربية الفصحى باطراد فيما أسماه النحاة بالنعت المقطوع وقد مثل لذلك « بقراءة " الحمد لله ربُّ العالمين " برفع لفظ الرب » [١] ، الذي وجهه ابن الأنباري على أنه خبر لمبتدأ محذوف وتقديره هو « رب العالمين » ، وينطبق هذا أيضا على حالة النصب للفظ « ربَّ » وتوجيهه أنه منصوب على المدح أو النداء [٢] ، ومن الواضح هنا أن الوقيفة أو المفصل لم

---

(١) يقول الدكتور أحمد مختار عمر ممثلا لقوانيم المفصل من اللغة الفصحى « (ومن ذلك) قراءة الحمد لله ربُّ العالمين - برفع ربٌّ - ندعي أنها كانت تقرأ : الحمد لله + (وقفة قصيرة) + رب العالمين وأن قراءة الجر كانت تقرأ : الحمد لله رب العالمين (بدون وقيفة) ، ولم يتعرض الدكتور أحمد مختار لورود اللفظ منصوبا مع أنه أيضا من النعت المقطوع أو المنادى الذي حذفت فيه أداة النداء وكلاهما ينطبق عليه نفس الوصف .

أما المثال الآخر الذي ذكره فهو قول الشاعر :

عطسا الدهر بنابه ليت ما بنا به

حيث نطق لفظ بنابه في الشطر الأول بدون وقيفة وفي الشطر الثاني بوقيفة بعد « نا » انظر في ذلك : دراسة الصوت اللغوي ص ٣١٤ ، وقارن بـ « من وظائف الصوت اللغوي » للدكتور أحمد كشك ص ١٢٧ وقد عالج الدكتور كشك عدداً من الأبواب النحوية في إطار ملمح التفخيم وذلك مثل النعت والتفخيم ، والنداء والتفخيم ، والاختصاص والتفخيم . انظر ص ١٠٢ - ١١١ . وقد ربط الدكتور ابراهيم نجا بين التفخيم والمقام الخارجي وعرفه بأنه تنويع أداء المتكلم أو هو ارتفاع الصوت وانخفاضه مراعاة للظرف المؤدى فيه الكلام ، انظر التجويد والأصوات ص ٧١ .

(٢) البيان في غريب إعراب القرآن ١/ ٣٤ ولم يشر ابن الأنباري إلى أن النصب أو الرفع قراءة ، أما العكبري فقد نص على أن الأوجه الثلاثة الجر والرفع والنصب قد قرئ بها فقال : وجره على الصفة أو البدل وقرئ بالنصب على إضمار أعني وقبل على النداء وقرئ بالرفع على إضمار هو ، انظر إملاء ما من به الرحمن ١/ ٥ ، وقد أشار مكي أيضا إلى القراءة بالأوجه الثلاثة في مشكل إعراب القرآن ١/ ٦٨ ، أما في كلام العرب فقد أجاز سيبويه في هذا المثال ونحوه النصب على التعظيم والمدح « وإن شئت جعلته صفة ، وإن شئت قطعته فابتدأته وعلى ==

يشاركه النبر كما في « كالوهم أو وزنوهم » وإنما شاركته العلامة الإعرابية فأصبح المعنى النحوي مرتبطا بملمحين هما : العلامة الإعرابية والوقيفة بعد لفظ الجلالة .

إنه مما تنبغي الإشارة إليه هنا أن هذا الملمح الأدائي « المفصل أو الوقيفة » قد يؤدي وظيفة أخرى لا علاقة لها بالمجال النحوي ألا وهي الوظيفة الصوتية المتمثلة في منع تسهيل الهمزة نظراً لأن الوقيفة قبلها تجعلها في حكم الهمزة المبدوء بها وقد جاء ذلك في قراءة حمزة في قوله تعالى : ﴿ .. على كل شئ قدير ﴾ « حيث كان حمزة يسكت على الياء من شئ قبل الهمزة سكتة خفيفة ثم يهمز فيقول : « شي + (وقيفة أو سكتة خفيفة) + ء قدير » ، وكذلك يسكت على اللام من الآخرة والأرض والأسماء وما شابه ذلك ، وغيره من القراء يصل الياء من شيء بالهمزة واللام من الأرض وأخواتها بالهمزة بلا سكتة » [١] ، وقد احتج أبو علي الفارسي لهذه القراءة فقال : « الحجة لحمزة في ذلك أنه أراد بهذه الوقيفة التي وقفها تحقيق الهمزة وتبيينها ، فجعل الهمزة بهذه الوقيفة التي وقفها قبلها على صورة لا يجوز فيها معها إلا التحقيق ، لأن الهمزة قد صارت بالوقيفة مضارعة للمبتدأ بها ، والمبتدأ بها لا يجوز تخفيفها ، ألا ترى أن أهل التخفيف لا يخففونها مبتدأة ، فكذلك هذه الوقيفة آذنت بتخفيفها لموافقتها بها صورة ما لا يخفف من الهمزات » [٢] .

-- ذلك فالأوجه الثلاثة جائزة في نحو قولهم الحمد لله الحميدُ هو ، والملكُ لله أهلُ الملك ، يقول سيبويه : إن شئت جردت ، وإن شئت نصبتَ ، وإن شئت ابتدأت » الكتاب ٢/ ٦٢ وربما كان تعبير سيبويه بالقطع في هذا الباب مرادفا للوقيفة في عبارة الزمخشري أو « المفصل » في الدرس اللغوي الحديث .

(١) الحجة في علل القراءات السبع لأبي علي الفارسي ١ / ٢٩٥ .

(٢) السابق ١ / ٢٩٦ .

ونخلص من ذلك كله إلى أن اللغة العربية الفصحى قد استخدمت الملمح الأدائي المسمى بـ « المفصل » [١] ، واعتدت به ملمحا نحويا في بعض الأحيان وذا وظيفة صوتية في أحيان أخرى ، وأن العلماء العرب قد عرفوا هذه الحقيقة وفسروا بها بعض القراءات خاصة ما روي عن حمزة ، وقد اتضح أيضا أن هذا الملمح الأدائي قد يقترن ببعض الملامح الأخرى المهمة مثل العلامة الإعرابية أو النبر [٢] .

* * *

---

(١) قد يعبر أحيانا عن هذا الملمح الأدائي بالسكت وهو خلاف الوصل والوقف يقول صاحب « المدخل إلى فن الأداء » (ص ١٣٨) : يجب السكت لخفض من الشاطبية ـ بدون تنفس ـ إذا لم تقف ، على ألف « عوجا » في « الكهف » ، وألف « مرقدنا » في « يس » ونون « من راق » في « القيامة » ، ولام « بل ران » في « المطففين » وزمنه بمقدار حركتين ، وقد سمي هذا أيضا بالقطع وأورد له ابن الجزري أمثلة عديدة انظرها مفصلة في « النشر » ١/ ١٤٧ وما بعدها ، وقد أطلق عليه الدكتور عبد الله ربيع مصطلح « الصفقات » التي تختلف عن الوقفات بأنها أقصر زمنا وأنها غير مصحوبة بتنفس . انظر علم الصوتيات ص ٢٩٢ .

(٢) انظر في وظيفة النبر واختلاف اللغات في استعماله ملمحا نحويا أو (فونيما يغير الصيغ أو المعاني) : الدكتور عبد الغفار هلال ، أصوات اللغة العربية ص ٦٢ .

رابعا: الابتداء

يراد بالابتداء هنا استئناف القراءة بعد الوقف ، ولا يكون إلا اختياريا ، ومن ثم فلا يجوز « إلا بمستقل بالمعنى مُوَقَّفٌ بالمقصود »[١] ، وهو في أقسامه كأقسام الوقف الأربعة تتفاوت تماما وكفاية وحسنا وقبحا بحسب تمام الكلام وعدم تمامه وفساد المعنى وإحالته ، ومن أمثلة القبيح أن تبتدئ بالمجرور دون الجار ، كأن تبدأ بـ « الناس » في قوله تعالى : ﴿ ومن الناس ﴾ ، أما أن تبدأ بـ « ومن » فهذا تام لعدم تعلقه بما قبله لفظا أو معنى ... إلخ .

كيفية الابتداء

بعد الوقف في المواضع التي يلزم فيها أو يجوز ، يستأنف القارئ قراءته ، فيبدأ بذلك من الموضع الذي يعقب ما وقف عليه ، فكيف يبتدئ ؟ .

إذا ابتدأ القارئ بكلمة ليس في أولها همزة فإن أول حروفها يكون مضبوطا (مشكَّلاً) بالفتح أو الكسر أو الضم ، حيث لا يجوز الابتداء بساكن ، وفي هذه الحالة يلتزم بالحركة التي كانت موجودة عند وصل هذه الكلمة بما قبلها .

أما إذا وقعت الهمزة في أول الكلمة التي يراد البدء بها فإن هذه الهمزة إما أن تكون همزة قطع أو همزة وصل ، فإن كانت همزة قطع ، وهي التي تثبت في النطق فصلا ووصلا ، فإنه يُبْدَأ بها محركة بالحركة التي كانت لها قبل الوقف على ما قبلها ، أي أنها تحتفظ بحركتها دون تغيير ، ومن أمثلة ذلك :

---

(١) النشر ١/ ٢٣٠ .

ـ الابتداء بقوله تعالى : ﴿ وأصلح لي في ذريتي ... ﴾ [الاحقاف : ١٥] ، أو الابتداء بقوله عز من قائل : ﴿ .. إنّ الله لا يحب من كان مختالا فخورا ... ﴾ [النساء : ٣٦] ، أو الابتداء بقوله سبحانه : ﴿ أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ﴾ [الحج : ٣٩] ، وعلامة هذه الهمزة في المصحف الشريف وضع الفتحة أو الضمة فوقها ، ووضع الكسرة أسفلها .

الابتداء بما أوله همزة وصل

فإذا كانت هذه الهمزة المبدوء بها همزة « ألف » [١] وصل ، وهي التي تسقط في وصل الكلام ، وتثبت عند ابتدائه ، وعلامتها في المصحف وضع رأس صاد صغيرة فوقها هكذا : آلأرض ، آستسقى ، آخْرُج ، وهذه الهمزة يختلف النطق بها بحسب ما ترد فيه من أنواع الكلم ، أي بحسب كون الكلمة المبدوء بها اسما أو فعلا أو حرفاً ، وذلك على النحو التالي :

البدء بهمزة الوصل في الأسماء

تحرك همزة الوصل في الأسماء بالكسر مطلقا ، أي سواء كانت الأسماء التي وردت بها قياسية كما في مصادر الخماسي والسداسي من نحو : آختلاق ـ استغفار ، أم كانت سماعية كما في ابن ، اثنين [٢] .

---

(١) جرت عادة القراء أن يقولوا همزة القطع ، وألف الوصل ، وهذا اصطلاح لا غير ، ولو قالوا همزة الوصل لكان جائزا .

(٢) لم ترد همزة الوصل سماعية في القرآن الكريم إلا في سبعة أسماء هي : اسم ـ ابن ـ ابنة ـ امرؤ ـ امرأة ـ اثنان ـ اثنتان .

همزة الوصل في الحروف

لم ترد همزة الوصل في الحروف إلا في أداة التعريف « ال » ، ومن المعروف أن هذه الأداة لا تدخل إلا على الأسماء ، وهي تضبطَ عند الابتداء بالفتح تخفيفا كما في لفظ الجلالة مثلا .

همزة الوصل في الأفعال

ترد همزة الوصل في الأفعال الماضية وأفعال الأمر وفيما يتعلق بصيغة الماضي فإنها ترد في الأفعال الخماسية والسداسية كما في : انْطَلَقَ ـ اسْتَغْفَرَ .

أما صيغة الأمر فإنها تأتي من الأفعال الخماسية والسداسية من نحو : انْطَلِق ـ اسْتَغْفِر ، كما تأتي أيضا في أمر الثلاثي من نحو : اخْرُج ـ افْتَح .

وحكم الهمزة هنا هي الضَّم إذا كان ثالث الفعل مضموما ضما لازما ، ويكون ذلك في حالتين اثنتين هما :

١ ـ المبني للمجهول من الأفعال الخماسية والسداسية كما في قوله تعالى : ﴿ بما اسْتُحْفِظوا من كتاب الله ... ﴾ [المائدة : ٤٤] ، وقوله سبحانه : ﴿ هنالك ابْتُلِيَ المؤمنون ... ﴾ [الأحزاب : ١١] .

٢ ـ فعل الأمر من الثلاثي إذا كان المضارع على وزن يَفْعُل كما في نحو : انْظُر ، ادْعُ (بضم همزة الوصل عند الابتداء) .

أما إذا كان ثالث الفعل مفتوحاً أو مكسوراً أو مضموما ضما عارضا بسبب الإسناد إلى واو الجماعة ، فإن همزة الوصل تكون مكسورة ، أي أنها تكسر في الأفعال في حالات ثلاث هي :

١ ـ إذا كان ثالث الفعل مكسوراً .

٢ ـ إذا كان ثالث الفعل مفتوحا .

٣ ـ إذا كان ثالث الفعل مضموما ضما عارضا ، وهذا الضم العارض لم يرد في القرآن الكريم إلا في خمسة مواضع ، هي :

ـ قول الله تعالى : ﴿ ثم اقضوا إلي ولا تنظرون ﴾ [يونس : ٧١] .

ـ قوله تعالى : ﴿ وامضوا حيث تؤمرون ﴾ [الحجر : ٦٥] .

ـ قوله سبحانه : ﴿ فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ... ﴾ [الكهف : ٢١] .

ـ قوله عز من قائل : ﴿ ... ثم ائتوا صفا ... ﴾ [طه : ٦٤] .

ـ قوله سبحانه : ﴿ ائتوني بكتاب من قبل هذا ﴾[الأحقاف : ٤][1].

• • •

(١) يلاحظ هنا أن هذه المواضع الخمسة هي فعل أمر ثلاثي ناقص مسند إلى واو الجماعة وقد ضم ثالثه لمناسبة هذه الواو ، ويلاحظ هنا أيضا أن المواضع ١ ، ٢ ، ٤ قد سبقت بحرف عطف ولا يجوز الوقف اختياراً على المعطوف دون العاطف .

الباب الثالث

نصوص تراثية في ترتيل القرآن الكريم

* تمهيد.
* النص الأول: من كتاب: التحديد، لأبي عمرو الداني.
* النص الثاني: من كتاب: النشر، لابن الجزري.
* النص الثالث: من كتاب: القطع والائتناف، للنحاس.

نصوص تراثية في الترتيل القرآني

تمهيد

لقد ذكرنا قبلا تنوع المؤلفات التي تناولت جانبي الترتيل أي تجويد الحروف ومعرفة الوقوف ، ولما كانت هذه المؤلفات هي المصدر الأساس في معرفة الأحكام الأدائية من ناحية ، ومعرفة الوقوف من ناحية أخرى ، كان لا بد من تدريب الطالب على استخدام هذه المصادر لمعرفة ما تتضمنه من كلٍّ من الرواية والدراية المتعلقين بألفاظ ومعاني القرآن الكريم ، ثم إنها فوق ذلك تعطي الباحث فكرة عن استخدام المصطلحات عند القدماء ، ومعرفة ما قد يكون طرأ عليها في المؤلفات المتأخرة أو الحديثة من توسيع في مفهومها أو تضييق له ، فالقطع مثلا عند أبي جعفر النحاس كان يعني تماما ما نعنيه بالوقف ، ولكن تطوَّر هذا المصطلح فأصبح يعني عند المتأخرين معنى مغايرا إلى حد ما وهو قطع القراءة لا بنية استئنافها ، وإنما بغرض الانتقال إلى حالة أخرى غير القراءة مما يدل على انتهاء القارئ ، وبذلك يكون مفهوم القطع قد تخصص معناه عند المتأخرين بأنه وقف لا تستأنف بعده القراءة ، بعد أن كان يعني الوقف بنية استئناف القراءة .

لقد راعينا أن تكون هذه النصوص شاملة ـ إلى حد ما ـ لفترة زمنية تمتد حوالي ستة قرون ، أي من مطلع القرن الرابع الهجري حتى منتصف القرن التاسع ، كما راعينا أن تشتمل على جهود علماء مختلفين في تخصصاتهم الأصلية ، فالنحاس مثلا من النحاة ، وأبو عمرو الداني وابن الجزري من علماء القراءات ، وقد انقسمت هذه النصوص إلى قسمين :

أولها : يتعلق بالتجويد ، وقد اخترنا فيه نصين ، أحدهما : من كتاب « التحديد » لأبي عمرو الداني (٤٤٤هـ) ، وهو من أقدم المؤلفات التي انفرد بها فن الأداء القرآني ، والنص الآخر من كتاب ابن الجزري « النشر في القراءات العشر » ، وهو من المؤلفات التي احتوت مباحث التجويد ضمن أبواب الأصول في كتب القراءات .

ثانيها : يتعلق بالوقف والابتداء ، وقد اخترناه من كتاب « القطع والائتناف » لأبي جعفر النحاس (٣٣٨هـ) ، وهو يمثل التطبيق العملي لأحكام الوقف من ناحية ، ويلخص جهود سابقيه من ناحية أخرى ، ونظرا لصعوبة هذا النص فقد علقنا عليه موضحين سبب كون الوقف تاما أو كافيا ، كما أوضحنا الجانب الصوتي المترتب على الوقف في المواضع التي ذكرها .

إننا نأمل بذلك أن يتمرس طلابنا على قراءة النصوص الأصلية ، وأن يحاولوا فهمها فهما صحيحا يتيح لهم الأداء القرآني على وجهه الصحيح .

* * *

النص الأول

من كتاب « التحديد في الإتقان والتجويد » لأبي عمرو الداني

أبو عمرو الداني

هو عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمر ، الشهير بـ « أبي عمرو الداني » ، الإمام العلامة الحافظ ، أستاذ الأستاذين ، وشيخ مشايخ المقرئين [١] ، ولد في قرطبة من بلاد الأندلس سنة ٣٧١هـ ، وكثرت رحلاته في طلب العلم ، وانتهى به المطاف في دانية فنسب إليها ، وقد ظل بها منذ سنة ٤١٧هـ ، حتى توفي في شوال عام ٤٤٤هـ .

قال الذهبي : إلى أبي عمرو المنتهى في تحرير علم القراءات ، وعلم المصاحف ، مع البراعة في علم التفسير والحديث والنحو وغير ذلك [٢] ، قلت : وفي علم أصوات القرآن الكريم ، وفن الأداء القرآني أيضا ، وقال ابن بشكوال : كان ـ رحمه الله ـ أحد الأئمة في علم القرآن وروايانه وتفسيره ومعانيه وطرقه وإعرابه ، وجمع في ذلك تواليف حسانا يطول تعدادها ، وقد ذكر الذهبي أن تواليفه بلغت مائة وعشرين [٣] كتابا ، منها فيما يتعلق بالأداء القرآني :

١ ـ كتاب المكتفي في الوقف والابتداء [٤] .

---

(١) غاية النهاية ١/ ٥٠٣ .

(٢) نزهة الفضلاء ٣/ ١٢٦٣ .

(٣) نقل الدكتور غانم قدوري عن الضبي في كتاب « الدرة الصقيلة في شرح المقيلة » أنه ـ أي الضبي ـ رأى لأبي عمرو الداني مائة وعشرين تأليفا ، منها في الرسم أحد عشر كتابا ، أصغرها حجما المقنع . انظر : مقدمة تحقيق كتاب التحديد ص ١٧ .

(٤) نشر هذا الكتاب بتحقيق الدكتور يوسف المرعشلي في مؤسسة الرسالة في بيروت ١٩٧٨م .

٢ ـ كتاب الراءات لورش .

٣ ـ كتاب اللامات .

٤ ـ كتاب مذاهب القراء في الهمزتين .

٥ ـ شرح القصيدة الخاقانية في التجويد .

٦ ـ كتاب اختلاف القراء في الياءات .

٧ ـ كتاب الإمالة .

٨ ـ المنبهة في الحذق والإتقان وصفة التجويد للقرآن .

٩ ـ كتاب الإدغام الكبير لأبي عمرو بن العلاء [١] .

١٠ ـ كتاب التحديد في الإتقان والتجويد ـ وهو الذي نتناوله هنا ـ

وقد نشر الكتاب مرتين ، الأولى : بتحقيق الدكتور / غانم قدوري في بغداد ١٩٨٨م ، والأخرى : بتحقيق الدكتور / أحمد عبد التواب الفيومي في القاهرة ١٩٩٣م ، وقد نشره تحت عنوان : التحديد في الإتقان والتسديد في صنعة التجويد ، والعنوان الأول هو الأكثر شهرة وتداولا .

ومن مؤلفاته الأخرى في القراءات ورسم المصحف :

ـ كتاب التيسير في القراءات السبع ، وقد نشر للمرة الأولى بتحقيق المستشرق الألماني أوتو برتسل في استانبول سنة ١٩٣٠م ، وهو الكتاب الذي نظمه الإمام الشاطبي في قصيدته المسماة : حرز الأماني ووجه التهاني ، والمعروفة باسم « الشاطبية » وقد شرحها كثيرون .

---

(١) الكتب : ٧ ، ٨ ، ٩ لا تزال مخطوطة ، وقد ذكر الدكتور / غانم القدوري أماكن وجودها وأرقامها في هذه الأماكن . انظر : الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص ٦٩٠ .

ـ الموضح لمذاهب القراء واختلافهم في الفتح والإمالة ، وقد حقق الكتاب الأستاذ جمال أبو العزم ، ونال به درجة الماجستير من كلية اللغة العربية بالقاهرة ، ولا يزال هذا التحقيق مخطوطا .

ـ المحكم في نقط المصاحف ، وقد نشر في دمشق سنة ١٩٦٠م ، بتحقيق الدكتور / عزة حسن .

ـ المقنع في رسم مصاحف الأمصار [١] .

ـ التنبيه على مذهب أبي عمرو بن العلاء في الإمالة والفتح .

ـ الفرق بين الضاد والظاء في كتاب الله تعالى .

ـ جامع البيان في عد آي القرآن [٢] .

* * *

---

(١) ذكر ابن الجزري جملة من شيوخه وتلاميذه ، أما شيوخه فهم : خلف بن إبراهيم بن خاقان ، والطاهر عبد المنعم بن غلبون ، وأبي الفتح فارس ابن أحمد ، وعبيد الله بن سلمة بن حزم ، ومن تلاميذه : أبو إسحاق إبراهيم بن علي وولده أحمد بن عثمان بن سعيد الداني ، والحسين بن علي . انظر : غاية النهاية ١/ ٤٠٥ .

(٢) للإمام أبي عمرو الداني كتب أخرى عديدة لا يزال معظمها مخطوطا ، وقد أحصى له الذهبي حوالي ١٢٠ مصنفا ، وقد ذكر الدكتور المرعشي في مقدمة تحقيقه لكتاب المكتفي ما يربو على ستين منها . انظر : مقدمة المكتفي ص ٣٥ وما بعدها .

كتاب « التحديد في الإتقان والتجويد »

يعد كتاب التحديد من أقدم المؤلفات التي تناولت علم أصوات القرآن الكريم على نحو متكامل ، وقد ظهر مع نظيره كتاب الرعاية لمكي ابن أبي طالب ٤٣٧هـ في الثلث الأول من القرن الخامس الهجري ، ويبدو أن تأليف الكتابين كان في وقت متزامن ، حيث لم يظهر تأثير لأحدهما في الآخر ، وبينما كان مكي بن أبي طالب يقرئ بقرطبة في غربي الأندلس [١] ، كان أبو عمرو الداني يقرئ بـ « دانية » في شرقيها [٢] .

أما موضوعات كتاب التحديد فيمكن الإشارة إليها بإيجاز فيما يلي :

بعد مقدمة قصيرة أوضح فيها أبو عمرو سبب تأليف الكتاب ، وهو إهمال القراء والمقرئين في عصره تجويد التلاوة وتحقيق القراءة ، انتقل إلى شرح المصطلحات الخاصة بـ « التجويد والترتيل والتحقيق » ، والآثار المروية في الحث على استعمال ذلك ، وبيان كيفية كلٍّ في ضوء ما نُقل عن أئمة القراءة السابقين .

ثم تحدث عن المصطلحات الخاصة بأنواع الحروف ، مثل : المحرّك والساكن ، والمختلس والمرام حركته ، والمخفي ، والمُشَمّ ، والممدود ، والمبيّن ، والمدغم ، والمفتوح ، والممال ، ونحو ذلك .

---

(١) تحدثنا عن مكي بن أبي طالب عند تناولنا لكتاب « الكشف عن علل القراءات » في كتابنا : القراءات القرآنية ولهجات العرب في عصر النبوة ص ٢٣١ .

(٢) وفي هذا ما يفسر قول مكي بن أبي طالب في « الرعاية » : ما علمت أحداً من المتقدمين سبقني إلى تأليف مثل هذا الكتاب .. (الرعاية ص ٤٢) ، وقد صدق في ذلك لأن أبا عمرو الداني كان معاصراً له من ناحية ، ولم يبلغه كتابه من ناحية أخرى .

وبعد حديثه عن هذه المصطلحات العامة التي يكثر ورودها في علم الأداء القرآني ، تناول ذكر مخارج الحروف مفصلة ، ثم تحدث عن صفات هذه الحروف من نحو الجهر والهمس والشدة والرخاوة ، والإطباق والانفتاح ... إلخ ، وقد عرف كل صفة وبيّن ما ينطبق عليه هذا التعريف من الأصوات العربية ، ثم تحدث عن أحوال النون الساكنة والتنوين ، وذكر ما يعرض لهما مع سائر حروف المعجم (وهو النص الذي تناولناه هنا) .

انتقل الداني بعد ذلك إلى معالجة ما يعرف باللحن الخَفِيّ [١] ، فذكر الحروف التي يلزم تعمد بيانها لتنفصل بذلك عما يشبهها ، فذكر الحروف العربية واحداً واحداً بادئا بالهمزة ، ومنتهيا بالواو ، مما يعني أنه رتبها على المخارج لا على الترتيب الهجائي العادي ، وهو في ذلك متأثر بالخليل إلى حد كبير [٢] .

وبعد أن انتهى من ذكر الأحكام التجويدية الخاصة بكل حرف مفرداً أو مركباً مع غيره ، تحدث عن الشق الثاني للترتيل وهو معرفة الوقوف ، فتحدث عن ظاهرة الوقف من الناحيتين الدلالية والصوتية ، وقد بدأ بالجانب الصوتي ، فذكر أحوال الحركات ونون التنوين في الوقف ، ثم بين أقسامه من الناحية الدلالية ، فذكر أضرب الوقف من تام وكاف وحسن وقبيح ، وحكم كل من هذه الأنواع ، وأوضح في الختام المواضع التي يلزم القراء تجنب الوقف عليها .

---

(١) عرف الداني اللحن الخفي بأنه : ترك إعطاء الحرف حقه من تجويد لفظه . انظر : التحديد ص ٢٤٨ .

(٢) خالف أبو عمرو الخليل في أنه لم يبدأ مثله بالعين وإنما بالهمزة ، كما خالفه في ترتيب بعض الحروف ذات المخرج الواحد .

نص من كتاب « التحديد في صنعة الإتقان والتجويد »

باب ذكر أحكام النون الساكنة والتنوين عند جميع حروف المعجم

قال الداني :

هي أربعة أحوال :

فالحالة الأولى : أن يكونا مظهرين ، وذلك عند حروف الحلق الستة : الهمزة والهاء والعين والحاء والغين والخاء ، نحو قوله تعالى :

- ﴿ من آمن ﴾ (البقرة : ٢٥٣) ، ﴿ من شيء إلاَّ ﴾ (الذاريات : ٤٢).
- ﴿ من هاجر ﴾ (الحشر : ٩) ، ﴿ جرف هارٍ ﴾ (التوبة : ١٠٩) .
- ﴿ من عمل ﴾ (المائدة : ٩٠) ، ﴿ يومئذ عليها ﴾ (عبس : ٤٠) .
- ﴿ من حادَّ ﴾ (المجادلة : ٢٢) ، ﴿ نارٌ حامية ﴾ (القارعة : ١١) .
- ﴿ من غِلٍّ ﴾ (الأعراف : ٤٣) ، ﴿ قوما غيركم ﴾ (التوبة : ٣٩) .
- ﴿ من خيل ﴾ (الحشر : ٦) ، ﴿ يومئذ خاشعة ﴾ (الغاشية : ٢) .

فأما الألف فلا يكون ما قبلها إلا متحركا ، فلذلك خرجت عن نظائرها [١] .

وإنما بُيِّنت النون والتنوين عند هذه الحروف ليعد المسافة التي بينهما وبينهن ، إلا أن بيانهما عندهن على ضربين : بتعمُّلٍ ، وبغير تعمّل ، والذي يتعمل بيانهما عندهن ثلاثة : الهمزة ، والغين ، والخاء ، لأنه متى لم يتعمل ذلك عندهن ، ولم يُتكلّف انقلبت حركة الهمزة عليهما وسقطت من اللفظ ، وأخفيا عند الغين والخاء ، لأن ذلك قد

---

(١) يريد الداني أن الألف وهي عنده من حروف الحلق لا يسبقها إلا حركة ، ومن ثم فلا يتصور وجود نون ساكنة أو تنوين قبلها .

يستعمل فيهن ، كما رواه ورش عن نافع في الهمزة ، ورواه المسيبي عنه في الغين والخاء لقربهما من حرفي أقصى اللسان ، والتي لا يتعمل بيانهما عندهن ثلاثة أيضا ، هي : الهاء والعين والحاء ضرورة ، كذا حدثني الحسن بن علي ، عن أحمد بن نصر ، قال : سمعت ابن مجاهد يقول : النون الساكنة والتنوين يبينان عند الحاء والهاء والعين ضرورة من غير تعمل .

والحالة الثانية : أن يكونا مدغمين ، وذلك في خمسة أحرف يجمعها قولك : « لَمْ يُرْوَ » : اللام ، والراء ، والميم ، والياء ، والواو ، نحو قوله تعالى :

- ﴿ من لَّم يتب ﴾ (الحجرات : ١١) .
- ﴿ خيراً لَّهم ﴾ (آل عمران : ١٨٠) .
- ﴿ من ربِّهم ﴾ (البقرة : ٥) .
- ﴿ من أنصار ربَّنا ﴾ (آل عمران : ١٩٢ - ١٩٣) [١] .
- ﴿ ومن يَقل ﴾ (الأنبياء : ٢٩) .
- ﴿ برقٌ يجعلون ﴾ (البقرة : ١٩) .
- ﴿ من وَال ﴾ (الرعد : ١١) .
- ﴿ يومئـذ واهية ﴾ (الحاقة : ١٦) .
- ﴿ من مَّال الله ﴾ (النور : ٣٣) .
- ﴿ نارٌ مُّوصدة ﴾ (البلد : ٢٠) .

قال أبو عمرو : وبعض القراء يزيدون حرفا سادسا وهو النون ، نحو قوله سبحانه : ﴿ من نُّور ﴾ (النور : ٤٠) ، و﴿ يومئذٍ نَّاعمة ﴾

---

(١) الإدغام مبني هنا على وصل الآيتين ، أما عند الوقف على « أنصار » لكونها رأس آية فلا إدغام .

(الغاشية : ٨) .

ولا معنى لذكرها معهن ، لأنها إذا التقت بمثلها لم يكن غير إدغامها كسائر المثلين .

وإنما أدغمت النون والتنوين في هذه الحروف للقرب الذي بينهما وبينهن ، والتشاكل والمشابهة [١] ، فأدغما في الراء واللام لقرب مخرجهما من مخرجها (النون الساكنة / التنوين) على طرف اللسان ، وقد قيل : إنهم (أي الراء واللام والنون) من مخرج واحد .

وأدغما في الميم للمشاركة التي بينهما وبينها في الغنة ، حتى كأنك تنطق النون كالميم ، والميم كالنون ، لتداوة صوتيهما .

وأدغما في الواو ، للمواخاة التي بين الواو والميم في المخرج إذ كانا يخرجان من بين الشفتين ، وأيضا فإن المد الذي في الواو بمثابة الغنة التي في الميم .

وأدغما في الياء ، لمواخاتها الواو في المد واللين ، ولقربها أيضا من الراء ، لأنه ليس يخرج من طرف اللسان أقرب إلى الراء من الياء ، ولذلك يجعل الألثغ الراء ياء .

قال أبو عمرو : فأما الراء واللام فيدغم النون والتنوين فيهما بغير غنة ، هذا هو المأخوذ به في الأداء فيقلبان حينئذ من جنسهما قلبا صحيحا ، ويدغمان إدغاما تاما مخرجهما من مخرجهما وذلك باب الإدغام .

وأما الياء والواو فيدغمان فيهما وتبقى غنتهما ، هذا مذهب الجماعة من القراء غير حمزة فإنه اختلف عنه في ذلك ، وإذا بقيت

---

(١) يشير هنا إلى ما يعبر عنه المحدثون بظاهرة المماثلة Assimilation .

غنتهما لم ينقلبا قلبا صحيحا ، ولا يدغما إدغاما تاما ، وإنما يتمكن ذلك فيهما إذا ذهبت الغنة بالقلب الصحيح .

وأما الميم فيدغمان فيها إدغاما تاما ، ويقلبان من جنسها قلبا صحيحا مع الغنة الظاهرة ، وإنما مضت الميم بذلك لأن فيها غنة كغنتهما ، فإذا ذهبت غنة النون والتنوين بالقلب بقيت غنتها (أي الميم) وكذلك حالهما مع النون كالميم سواء .

حدثنا محمد بن أحمد : حدثنا ابن مجاهد قال : لا يقدر أحد أن يأتي بـ « عَمَّن » .. بغير غنة ، لعلها غنة الميم ... .

قال أبو عمرو : وهذا الذي ذكرناه من الإدغام في حروف « لم يرو » إنما يكون ذلك إذا كانت النون معهن من كلمتين ، فإن كانت معهن من كلمة لم يجز الإدغام نحو قوله تعالى : ﴿ صنوان ﴾ (الرعد : ٤) ، و﴿ بنيان ﴾ (الصف : ٤) ، و﴿ الدنيا ﴾ (البقرة : ٨٦) ، ونحو ذلك ، وكذلك « شاة زمناء » وما أشبهه ، وذلك مخافة أن يشتبه ذلك إذا أدغم بالمضاعف الذي على مثال فُعَّال فعدل عن الإدغام لذلك .

الحالة الثالثة : أن يقلبا ميما (من غير إدغام) ، وذلك إذا لقيا الباء ، نحو قوله سبحانه :

- ﴿ أن بُورك ﴾ (النمل : ٨) .
- ﴿ سميعٌ بصير ﴾ (الحج : ٦١) .
- ﴿ أنباءهم ﴾ (البقرة : ٣٣) .

وإنما قلبا ميما عندها (أي الباء) خاصة من أجل موافاة الميم للنون في الغنة ، ومشاركتها للباء في المخرج ، فقلبا ميما من أجل ذلك .

الحالة الرابعة : أن يكونا مخفيين ، وذلك عند باقي حروف المعجم نحو قوله تعالى :

- ﴿ أنفسكم ﴾ (البقرة : ٤٤) .
- ﴿ قوما فاسقين ﴾ (التوبة : ٥٣) .
- ﴿ ولئن قلت ﴾ (هود : ٧) .

وما أشبه ذلك .

والفاء من حيث اتصلت بالتفشّي بالتاء بمنزلة الثاء في الإخفاء ، وإنما أخفيا (النون والتنوين) عندهن ، لأنهما لم يبعدا منهن كبعدهما من حروف الحلق ، فيجب الإظهار للتراخي ، ولم يقربا منهن كقربهما من حروف « لم يرو » ، فيجب الإدغام للمزاحمة ، فأخفيا فصار عندهن لا مظهرين ولا مدغمين ، وغنتهما مع ذلك باقية ، ومخرجهما من الخيشوم خاصة ، ولا عمل للسان فيهما (والخيشوم فوق تجويف الأنف المنجذب إلى داخل الفم) .

وإخفاؤهما على قدر قربهما وبعدهما ، فما قربا منه كانا عنده أخفى مما بَعُدا عنه ، والفرق بين المخفيّ والمدغم أن المخْفِيّ مخفف والمدغم مشدد [١] .

* * *

(١) التحديد للداني ، تحقيق الدكتور أحمد عبد الوهاب ص ٢٣٦ وما بعدها .

النص الثاني

من كتاب « النشر في القراءات العشر » لابن الجزري

ابن الجزري

هو الإمام الحافظ المحقق أبو الخير محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف الجزري ، ولد بدمشق سنة ٧٥١هـ ، تلقى تعليمه الأولي بعد حفظ القرآن الكريم في بلاد الشام ، ثم ارتحل إلى المدينة المنورة فأخذ القراءات على أشهر شيوخها ، ثم ارتحل إلى مصر سنة ٧٦٩هـ ، وتلقى القراءات عن جلة من مشيخة المصريين ، ثم رحل إلى دمشق فترة وجيزة ، ثم عاد إلى مصر فأخذ الحديث والفقه عن أكابر الفقهاء والمحدثين ، وأجيز بالإفتاء سنة ٧٧٤هـ ، وعاد إلى دمشق مرة أخرى وجلس للإقراء في الجامع الأموي ، وتولى مشيخة الإقراء ، فأخذ عنه خلق كثيرون ، وترك مؤلفات عديدة معظمها في القراءات ، ومن أهمها :

١ ـ كتاب النشر في القراءات العشر (وهو الذي اقتبسنا منه النص) .

٢ ـ تحبير التيسير في القراءات العشر .

٣ ـ الدرة المضية في القراءات الثلاث المرضية [١] .

٤ ـ غاية النهاية في طبقات القراء .

---

(١) القراءات الثلاثة هي قراءة الأئمة : أبي جعفر ، وخلف ، ويعقوب ، أما السبعة فهي قراءات الأئمة : ابن كثير ، ونافع ، وأبي عمرو ، وابن عامر ، وحمزة ، وعاصم ، والكسائي .

٥ ـ التمهيد في علم التجويد .

٦ ـ منجد المقرئين .

هذا إضافة إلى مؤلفات عديدة في التفسير والحديث والفقه والعربية ، كما أنه نظم الطيبة (طيبة النشر في القراءات العشر) وغيرها ، وظل يمارس الحل والترحال والتدريس والتأليف حتى وافاه الأجل المحتوم في شيراز من بلاد فارس ودفن بدار القرآن التي أنشأها بها سنة ٨٣٣هـ[١] .

كتاب النشر

يتناول كتاب النشر اختلاف القراء العشرة الذين تواترت قراءتهم وهم القراء السبعة المشهورون إضافة إلى قراءة كل من أبي جعفر (المدني) ، ويعقوب (البصري) ، وخلف (الكوفي) ، وهؤلاء الثلاثة هم الذين اتفق جمهور العلماء على تواتر قراءتهم ، أما السبعة فقراءتهم متواترة بإجماع الأمة .

وقد انقسم الكتاب إلى قسمين :

الأول : أبواب الأصول ، وهي القواعد العامة للقراءة ، أي تلك التي تطرد في كل القرآن سواء عند واحد أو أكثر من هؤلاء القراء العشرة ، وذلك مثل الإمالة ، وتسهيل الهمز ، والإدغام ، والوقف ... إلخ .

الآخر : فرش الحروف ، وفيه يذكر اختلاف الأئمة في الألفاظ المفردة في سور القرآن الكريم .

---

(١) انظر في ترجمته : غاية النهاية ٢/ ٢٤٧ ، والأعلام ٧/ ٤٥ ، ومقدمة الشيخ الضباع لكتاب النشر .

وقد مهد للكتاب بفصول تمهيدية بدأها بالحديث عن فضائل حملة القرآن ، ثم شرح حديث « الأحرف السبعة » التي نزل بها القرآن الكريم ، ثم تناول أركان القراءة الصحيحة ، فقال : « كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه ، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً ، وصح سندها ، هي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها ، ولا يحل إنكارها ، بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن ، ووجب على الناس قبولها ، سواء أكانت عن الأئمة السبعة أم عن العشرة ، أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين ، ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة » .

ثم تكلم عن فائدة اختلاف القراءات وتنوعها ، ثم تحدث عن مصادره العديدة ، فذكر منها : التيسير لأبي عمرو الداني ، وكتاب جامع البيان له ، وكتاب الشاطبية ، ومفردة يعقوب ، وغير ذلك ، ثم تحدث عن الأسانيد التي وصلته القراءات العشرة عن طريقها ، ثم دلف بعد ذلك إلى أبواب الأصول المتعلقة بترتيل القرآن الكريم تجويداً ووقفا ، وكان من ذلك ما يتعلق بـ « الإمالة » نظراً وتطبيقا .

موضوع النص

يتناول النص الذي اقتبسناه هنا تعريف الإمالة (وهي من الصفات التي تعرض للفتحة وألف المد) وأسبابها ووجوهها وفائدتها ، ثم انتقل بعد ذلك إلى مذاهب القراء في الأخذ بها .

* * *

نص من كتاب: النشر في القراءات العشر

باب مذاهبهم في الفتح والإمالة وبين اللفظين

الفتح هنا عبارة عن فتح القارئ لفيه (لفمه) بلفظ الحرف ، وهو فيما بعده ألف أظهر ، ويقال له أيضا التفخيم ، وربما قيل له النصب ، وينقسم إلى فتح شديد وفتح متوسط ، فالشديد هو نهاية فتح الشخص فمه بذلك الحرف . ولا يجوز في القرآن بل هو معدوم في لغة العرب . وإنما يوجد في لفظ عجم الفرس ولا سيما أهل خراسان . والفتح المتوسط هو ما بين الفتح الشديد والإمالة المتوسطة . قال وهذا الذي يستعمله أصحاب الفتح من القراء .

والإمالة أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة وبالألف نحو الياء (كثيرا) وهو المحض . ويقال له : الاضجاع ، ويقال له : البطح ، وربما قيل له الكسر أيضا (وقليلا) وهو بين اللفظين ويقال له أيضا التقليل والتلطيف وبين بين ؛ فهي بهذا الاعتبار تنقسم أيضا إلى قسمين : إمالة شديدة ، وإمالة متوسطة ، وكلاهما جائز في القراءة ، جارٍ في لغة العرب ، والإمالة الشديدة يجتنب معها القلب الخالص (إلى الياء) ، والإشباع المبالغ فيه والإمالة المتوسطة بين الفتح وبين الإمالة الشديدة ، قال الداني : والإمالة والفتح لغتان مشهورتان فاشيتان على ألسنة الفصحاء من العرب الذين نزل القرآن بلغتهم ، فالفتح لغة أهل الحجاز ، والإمالة لغة عامة أهل نجد من تميم وأسد وقيس . قال : وعلماؤنا مختلفون في أي هذه الأوجه أوجه وأولى ، قال : وأختار الإمالة الوسطى التي هي بين بين ؛ لأن الغرض من الإمالة حاصل بها وهو الإعلام بأن أصل الألف الياء أو التنبيه على انقلابها إلى الياء في موضع ، أو مشاكلتها للكسر

المجاور لها أو للياء . ثم أسند حديث حذيفة بن اليمان أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « اقرءوا القرآن بلحون العرب وأصواتها ، وإياكم ولحون أهل الفسق وأهل الكتابين » ، قال : فالإمالة لا شك من الأحرف السبعة ومن لحون العرب وأصواتها ، وقد اختلف أئمتنا في كون الإمالة فرعا عن الفتح ، أو أن كلا منهما أصل برأسه مع اتفاقهم على أنهما لغتان فصيحتان صحيحتان نزل بهما القرآن ، وكما أنه لا يكون إمالة إلا بسبب ، فكذلك لا يكون فتح إلا بسبب . قالوا : ووجود السبب لا يقتضي الفرعية ولا الأصالة ، وقال آخرون إن الفتح هو الأصل وإن الإمالة فرع بدليل أن الإمالة لا تكون إلا عند وجود سبب من الأسباب ، فإن فُقِد سببٌ منها لَزِم الفتح ، وإن وجد شيء منها جاز الفتح والإمالة ، فما من كلمة تمال إلا وفي العرب من يفتحها ، ولا يقال كل كلمة تفتح ففي العرب من يميلها . قالوا : فاستدللنا باطراد الفتح وتوقف الإمالة على أصالة الفتح وفرعية الإمالة ، وأيضا فإن الإمالة تُصيِّر الحرف بين حرفين بمعنى أن الألف الممالة بين الألف الخالصة والياء . وكذلك الفتحة الممالة بين الفتحة الخالصة والكسرة ، والفتح يبقي الألف والفتحة على أصلهما ، قالوا : فلزم أن الفتح هو الأصل والإمالة فرع (قلت) ولكل من الرأيين وجه ، وليس هذا موضع الترجيح . فإذا علم ذلك فليعلم أن للإمالة أسباباً ووجوها وفائدة ، ومن يميل ، وما يمال .

(فأسباب الإمالة) قالوا هي عشرة ترجع إلى شيئين ، أحدهما : الكسرة ، والثاني : الياء ، وكل منهما يكون متقدما على محل الإمالة من الكلمة ويكون متأخرا ، ويكون أيضا مقدراً في محل الإمالة ، وقد تكون الكسرة والياء غير موجودتين في اللفظ ولا مقدرتين في محل الإمالة ، ولكنهما مما يعرض في بعض تصاريف الكلمة ، وقد تمال الألف أو

الفتحة لأجل ألف أخرى أو فتحة أخرى ممالة ، وتسمى إمالة لأجل إمالة ، وقد تمال الألف تشبيها بالألف الممالة (قلت) وتمال أيضا بسبب كثرة الاستعمال وللفرق بين الاسم والحرف ، فتبلغ الأسباب اثنى عشر سببا ، والله أعلم .

فأما الإمالة لأجل كسرة متقدمة فليعلم أنه لا يمكن أن تكون الكسرة ملاصقة للألف ، إذ لا تثبت الألف إلا بعد فتحة ، فلا بد أن يحصل بين الكسرة المتقدمة والألف الممالة فاصل ، وأقله حرف واحد مفتوح نحو : كتاب وحساب ، وهذا الفاصل إنما حصل باعتبار الألف .

فأما الفتحة الممالة فلا فاصل بينها وبين الكسرة . والفتحة مبدأ الألف ، ومبدأ الشيء جزء منه ، فكأنه ليس بين الألف والكسرة حائل ، وقد يكون الفاصل بين الألف والكسرة حرفين بشرط أن يكون أولهما ساكنا أو يكونا مفتوحين والثاني هاء ، نحو : إنسان ، ويضربها ، من أجل خفاء الهاء ، وكون الساكن حاجزاً غير حصين فكأنهما في حكم المعدوم ، وكأنه لم يفصل بين الكسرة والألف إلا حرف واحد . وهذا يقتضي أن من أمال : « مررت بها » كانت الكسرة عند الألف في الحكم وإن فصلت الهاء في اللفظ . وأما إمالتهم « درهمانِ » فقيل من أجل الكسرة قبل ولم يعتد بالحرفين الفاصلين . والظاهر أنه من أجل الكسرة المتأخرة والله أعلم .

وأما الياء المتقدمة فقد تكون ملاصقة للألف الممالة نحو إمالة : أياما ، والحياة ، ومن ذلك قولهم : السِّيال (بفتح السين) ، وهو ضرب من الشجر له شوك ، وهي من العضاه ، وقد يفصل بينهما بحرف نحو : شيبان ، وقد يفصل بحرفين أحدهما الهاء نحو : بدها ، وقد يكون الفاصل غير ذلك نحو : رأيت بدنا .

وأما الإمالة من أجل الكسرة بعد الألف الممالة نحو : عابد . وقد تكون الكسرة عارضة نحو : (من الناس ، وفي النار) لأن حركة الإعراب غير لازمة .

(وأما الإمالة لأجل الياء بعد الألف الممالة فنحو : مبايع) .

وأما الإمالة لأجل الكسرة المقدرة في المحل الممال فنحو : خاف . أصله : خَوِفَ بكسر عين الكلمة وهي الواو فقلبت الواو ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها ، وأما الإمالة لأجل الياء المقدرة في المحل الممال فنحو : (يخشى ، والهدى ، وأتى ، والثرى) تحركت الياء في ذلك وانفتح ما قبلها فقلبت ألفا .

وأما الإمالة لأجل كسرة تعرض في بعض أحوال الكلمة فنحو : طاب ، وجاء ، وشاء ، وزاد ؛ لأن الفاء تكسر من ذلك إذا اتصل بها الضمير المرفوع من المتكلم والمخاطب ونون جماعة الإناث فتقول : طِبْتُ ، وجِئْتُ ، وشِئْتُ ، وزِدْتُ ، وزِدْنَ .

وأما الإمالة لأجل ياء تعرض في بعض الأحوال فنحو : تلا وغزا ؛ وذلك لأن الألف فيهما منقلبة عن واو التلاوة والغزو ، وإنما أميلت في لغة من أمالها لأنك تقول : إذا بنيت الفعل للمفعول : تُلِيَ وغُزِيَ مع بقاء عدة الحروف كما كانت حين بنيت الفعل للفاعل .

وأما الإمالة لأجل الإمالة فنحو إمالة : عمادا ، أمالوا الألف المبدلة من التنوين لأجل إمالة الألف الأولى الممالة لأجل الكسرة ، وقيل في إمالة (الضُّحَى والقُوَى وضُحَاها وتلاها) إنها بسبب إمالة رؤوس الآي قبل وبعد ، فكانت من الإمالة للإمالة .

وأما الإمالة لأجل الشبه فإمالة ألف التأنيث في نحو (الحسنى) وألف الإلحاق في نحو : أرطى ؛ لشبه ألفيهما بألف (الهدى) المنقلبة عن الياء ، ويمكن أن يقال بأن الألف تنقلب ياء في بعض الأحوال ، وذلك إذا ثُنِّيتَ ، قلت : الحسنيان والأرطيان ، ويكون الشبه أيضا بالمشبه بالمنقلب عن الياء ، كإمالتهم : موسى وعيسى ، فإنه ألحق بألف التأنيث المشبه بألف الهدى .

وأما الإمالة لأجل كثرة الاستعمال فكإمالتهم « الحَجّاج » عَلَماً لكثرته في كلامهم .

وأما الإمالة لأجل الفرق بين الاسم والحرف فقال سيبويه : وقالوا باء وتاء في حروف المعجم يعني بالإمالة لأنها أسماء ما يلفظ به ، فليست مثل ما ولا ، وغيرهما من الحروف المبنية على السكون ، وإنما جاءت كسائر الأسماء انتهى . (قلت) وبهذا السبب أميل ما أميل من حروف الهجاء في الفواتح ، والله أعلم .

(وأما وجوه الإمالة) فأربعة ترجع إلى الأسباب المذكورة أصلها اثنان وهما المناسبة والأشعار ، فأما المناسبة فقسم واحد وهو فيما أميل لسبب موجود في اللفظ ، وفيما أميل لإمالة غيره ، فأرادوا أن يكون عمل اللسان من وجه واحد وعلى نمط واحد ، وأما الإشعار فثلاثة أقسام (أحدها) الإشعار بالأصل ، وذلك إذا كانت الألف الممالة منقلبة عن ياء أو عن واو مكسورة ، (الثاني) الإشعار بما يعرض في الكلمة في بعض المواضع من ظهور كسرة أو ياء حسبما تقتضيه التصاريف كما تقدم في خزا وطاب ، (الثالث) الإشعار بالشبه المشعر بالأصل وذلك كإمالة ألف التأنيث والملحق بها والمشبه بها أيضا .

(وأما فائدة الإمالة) فهي سهولة اللفظ ، وذلك أن اللسان يرتفع بالفتح وينحدر بالإمالة والانحدار أخف على اللسان من الارتفاع ، فلهذا أمال من أمال ، وأما من فتح فإنه راعى كون الفتح أمتن أو الأصل والله أعلم [١] .

إذا علم ذلك فإن حمزة والكسائي وخلفاً أمالوا كل ألف منقلبة عن ياء حيث وقعت في القرآن الكريم سواء كانت في اسم أو فعل ، « فالأسماء » نحو : (الهدى ، والهوى ، والعمى ، والزنا ، ومأواه ، ومأواكم ، ومثواه ، ومثواكم) ، ونحو : (الأزكى ، والأعلى ، والأشقى ، وموسى ، وعيسى ، ويحيى) ، و« الأفعال » نحو : (أتى ، وأبى ، وسعى ، ويخشى ...) ، وتعرف ذوات الياء من الأسماء بالتثنية ، ومن الأفعال برد الفعل إليك ، فإذا ظهرت الياء فهي أصل الألف مثل : أتيت ، وأبيت ، وإن ظهرت الواو فهي الأصل أيضا كما في : دعوت ، ودنوت .

* * *

(١) هنا خطأ بيّن في التعليل لِيُسر الإمالة ، وهي بالفعل أيسر من الباء أو الكسر ، ولكن الفتح أو الألف أكثر يسرا ، والصواب أن يقال : إن اللسان يرتفع بالكسر ... وأما من فتح فإنه راعى كون الفتح أيسر ... إلخ .

النص الثالث

من كتاب « القطع والائتناف » لأبي جعفر النحاس

أبو جعفر النحاس

هو أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل ، لقّب بـ « النحاس » أو الصفّار ، من الطبقة الثالثة من النحاة واللغويين المصريين ، وقد رحل إلى العراق فتلقى العلم عن أبي إسحاق الزجاج ، وأخذ النحو عن علي ابن سليمان الأخفش الأصغر ، وابن الأنباري ، ونفطويه ، وغيرهم من أعيان العلماء بالعراق ، ثم رجع إلى مصر يشتغل بالتصنيف والتدريس حتى وافاه الأجل المحتوم في ذي الحجة سنة ٣٣٨هـ ، وكان ـ رحمه الله تعالى ـ واسع العلم ، غزير الرواية ، كثير التأليف ، فمن ذلك :

١ ـ كتاب معاني القرآن .

٢ ـ كتاب إعراب القرآن [١] .

٣ ـ كتاب تفسير أسماء الله عز وجل .

٤ ـ ناسخ القرآن ومنسوخه .

٥ ـ المقنع في اختلاف البصريين والكوفيين .

٦ ـ كتاب أخبار الشعراء .

٧ ـ القصائد التسع [٢] المشهورات بتفسير غريبها وإعرابها ومعانيها .

---

(١) قال عنه الزبيدي : جلب فيه الأقاويل ، وحشد الوجوه ، ولم يذهب في ذلك مذهب الاختيار والتعليل .

(٢) هكذا ذكر بروكلمان ، ولعل الصواب : « السبع المشهورات » وهي المعلقات المعروفة .

٨ ـ تفسير أبيات سيبويه [١] .

٩ ـ كتاب القطع والائتناف أو الوقف والابتداء ، وقد حققه الدكتور / أحمد خطاب العمر ، معنونا له بالعنوان الأول نظرا لوروده على كل النسخ الذي تسنى له رؤيتها ، وقد ذكر إسماعيل البغدادي في هدية العارفين أنه له كتابين : الأول هو القطع والائتناف ، والآخر هو « الوقف والابتداء » [٢] .

كتاب القطع والائتناف

بعد مقدمة قصيرة شرح فيها معنى الترتيل ، وأن من هذا الترتيل الوقف على ما تم معناه ، وأنه بهذا جاءت سنة الرسول ﷺ ، ثم كشف عن مضمون هذا الكتاب وهو ذكر التمام في القرآن الكريم ، أي المواضع التي يكون الوقف فيها تاما ، ثم المواضع التي يكون فيها الوقف كافيا أو صالحا ، وما يحسن الابتداء به ، وما يجتنب من ذلك [٣] ، وقد كان منهجه في ترتيب المادة العلمية أن يذكر الوقوف التامة والكافية في سور القرآن الكريم سورة سورة مبتدئا بالفاتحة فالبقرة ... حتى سورة الناس ، وقدم بين يدي ذلك جملة من الأبواب التمهيدية شملت : فضائل القرآن ، قراءة النبي ﷺ وتبيينه إياها وإنكاره الوقف على غير تمام ، وذكر تعلم أصحابه القرآن كيف كان ؟ ، ثم ذكر من تكلم من الصحابة والتابعين في القطع والائتناف ، ثم عقد بابا لما يحتاج إليه من حقق النظر في التمام ، وقد ذكر من ذلك ضرورة العلم بالنحو

---

(١) اقتبسنا هذه الترجمة من طبقات اللغويين والنحويين للزبيدي ص ٢٢٠ وما بعدها، وتاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٢/ ٢٧٥ ، والأعلام للزركلي ١/ ٢٠٨ .

(٢) انظر : مقدمة تحقيق « القطع والائتناف » ص ٦ .

(٣) القطع والائتناف ص ٧٤ .

والقراءات ، والتفسير ، والقصص وتلخيص بعضها من بعض ، والعلم باللغة التي نزل بها القرآن ، وأن يكون على علم باختلاف الفقهاء في بعض الأحكام الواردة في القرآن ، ثم ختم هذه الأبواب التمهيدية بذكر الأسانيد وطريقته في تلخيصها ، فإذا قال مثلا : قال نافع فإنه كتبه عن أبي جعفر أحمد بن عبد الله بن جلال المقرئ ، وأشعث بن سهل عن أحمد بن محمد بن سقلاب عن الإمام نافع ... وهكذا ، ثم خلص بعد ذلك إلى صلب الموضوع وهو ذكر الوقوف في سور القرآن الكريم سورة سورة ، مبتدئا بالفاتحة فالبقرة فآل عمران إلى سورة الناس (وفقا لترتيب المصحف) .

موضوع النص

يتناول النص الذي اقتبسناه الوقوف العديدة التي وردت في سورة الملك ، وقد اخترناها لتكون أنموذجا لما عداها نظرا لأنها من السور التي يكثر الناس من قراءتها في مناسبات مختلفة ، وقد تركنا عبارة أبي جعفر كما هي ليتدرب الطلاب على طريقة القدماء في عرض أحكام الوقف ، ويلاحظ هنا أن أبا جعفر قد أولى جل عنايته للجانب الدلالي ، أما الجانب الصوتي فقد تركه اعتماداً على فطنة القارئ ، أي أنه اهتم ببيان الموقوف عليه ، لا الموقوف به ، وقد رأينا إتماماً للفائدة أن نثبت النص القرآني الكريم على الجهة اليمنى ليكون ذلك عونا لغير الحافظ كي يتذكر الآية التي يتم الوقف فيها ، فيدرك بذلك تمام المعنى المراد ، وقد تركنا نص أبي جعفر كما هو ، وأرجأنا التعليق إلى ما بعد انتهاء النص ، ويشير الرقم المذكور بعد موضع الوقف إلى رقم الآية في السورة الكريمة ، فإذا كتب مثلا : « ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت » (٣) ، فمعنى هذا أن موضع الوقف هنا إنما هو ضمن الآية الثالثة في السورة .

نص من كتاب
« القطع والائتناف »

سورة الملك

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾
الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ
الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِي
خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾
ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ
﴿٤﴾ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا
لِّلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴿٥﴾ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا
بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا
لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا
فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا
نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ
كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ
السَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١١﴾ إِنَّ
الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾

النص

(الوقوف) في سورة الملك

قال أبو جعفر : أول ما ذكر أصحاب التمام من هذه السورة قوله (جل وعز) : ﴿ مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ ﴾ (٣) أنه كاف ، قال أبو جعفر : وهذا هو البين إلا أنه يجوز أن نقف على ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١) ويكون المعنى : هو الذي خلق الموت والحياة ، أو بمعنى : أعني ، وكذا ﴿ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴾ (٢) والتمام ﴿ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾ (٤) قال أبو حاتم ﴿ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ ﴾ (٥) كاف ، والتمام عنده ﴿ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴾ (٥) على قراءة من قرأ ﴿ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ﴾ (٦) فرفع ، ومن نصب لم يقف على ﴿ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴾ وكان وقفه الكافي ﴿ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ﴾ والتمام ﴿ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ (٦) وقال أبو حاتم : ﴿ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ ﴾ (٨) ﴿ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴾ (٩) قطع تام ، قال أبو حاتم ﴿ فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ (١٠) ﴿ فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ ﴾ (١١) كاف ﴿ فَسُحْقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ (١١) قطع تام ، وكذا ﴿ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ (١٢) .

وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (١٣) أَلَا
يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٤) هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ
الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ
(١٥) أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ
(١٦) أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ
كَيْفَ نَذِيرِ (١٧) وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ
(١٨) أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ
إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ (١٩) أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ
يَنصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ (٢٠) أَمَّنْ
هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَل لَّجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ (٢١)
أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ
صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٢٢) قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ
وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ (٢٣) قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي
الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٢٤) وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ
صَادِقِينَ (٢٥) قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٢٦)

وكذا ﴿ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ (١٣) وكذا ﴿ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ (١٤) قال أبو حاتم ﴿ وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ﴾ (١٥) كاف ﴿ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾ (١٥) قطع تام ، والكلام متصل إلى ﴿ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ﴾ (١٧) فإنه قطع كاف والتمام ﴿ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴾ (١٧) وكذا ﴿ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾ (١٨) ﴿ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ ﴾ (١٩) قطع كاف إن ابتدأت ﴿ وَيَقْبِضْنَ ﴾ (١٩) والتمام على ما رُوي عن نافع ﴿ وَيَقْبِضْنَ ﴾ وهو قول محمد بن عيسى والقتيبي وأبي حاتم ، إلا أنه قال : وأتم منه ﴿ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلاَّ الرَّحْمَنُ ﴾ (١٩) والتمام عند غيره ﴿ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴾ (١٩) ﴿ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْمَنِ ﴾ (٢٠) كاف والتمام ﴿ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلاَّ فِي غُرُورٍ ﴾ (٢٠) ﴿ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ ﴾ (٢١) قطع كاف ، والتمام ﴿ بَل لَّجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴾ (٢١) وكذا ﴿ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (٢٢) قال محمد بن عيسى : ﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ ﴾ (٢٣) تم الكلام ، والتمام عند غيره ﴿ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ (٢٣) وكذا ﴿ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ (٢٤) وكذا ﴿ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ (٢٦) .

فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنتُم
بِهِ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا
فَمَن يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ
وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ
إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ ﴿٣٠﴾ ﴾

صدق الله العظيم

وكذا ﴿ الَّذِي كُنتُم بِهِ تَدَّعُونَ ﴾ (٢٧) وكذا ﴿ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (٢٨) ثم يبتدئ ﴿ قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ﴾ (٢٩) هذا قطع كاف ، والتمام ﴿ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ (٢٩) ثم آخر السورة .

• • •

ملاحظات حول النص

نوجز هذه الملاحظات في النقاط الآتية :

أولا : استعمل أبو جعفر النحاس في هذا النص أربعة مصطلحات للتعبير عن الوقف وهي :

١ ـ الوقف الجائز ، وذلك على رأس الآيتين الأولى والثانية ، ووجه ذلك بأن ما بعد الوقف يجوز ألا يتعلق بما قبله من حيث الصناعة النحوية ، حيث إن ما بعد الوقف الأول « قدير » وهو لفظ الذي يجوز أن يعرب خبراً لمبتدأ محذوف تقديره هو الذي خلق الموت والحياة .. ، ويجوز أن يعرب مفعولاً به لفعل محذوف تقديره « أعني » ، أي : أعني الذي خلق الموت والحياة ، وهذان التقديران ينطبقان على رأس الآية الثانية وهو لفظ « الغفور » حيث إن ما بعده أي « الذي خلق سبع سموات » يمكن أن يكون خبرا أو مفعولا به كما في الآية السابقة .

٢ ـ الوقف الكافي ، وأول مواضعه في السورة الكريمة بعد لفظ « تفاوت » ذلك أن ما بعده وهو قول الله سبحانه : « فارجع البصر هل ترى من فطور » لا يتعلق به لفظا وإن تعلق به في المعنى ؛ لأنه كالسبب له ، والمعنى كما يقول أبو حيان : « أنه لما أخبر أنه لا تفاوت في خلقه ، أمر بترديد البصر في الخلق ، فقال : " فارجع " وفي الفاء معنى التسبب ، والمعنى : أن العيان يطابق الخبر »[1] .

٣ ـ الوقف التام ، وأول مواضعه في السورة الكريمة بعد قوله سبحانه : « وهو حسير » على رأس الآية الرابعة ، ذلك أنه لا يتعلق بما بعده لا لفظا ولا معنى ، فقوله سبحانه : « ولقد زينا السماء الدنيا .. » لا

---

(١) البحر المحيط ٨/ ٢٩٣ .

تعلق له بارتداد البصر حسيراً .

٤ ـ الوقف الأتم ، وقد ورد في السورة الكريمة في موضع واحد ، وهو الوقف على لفظ « الرحمن » في الآية التاسعة عشرة وهي : « أولم يروا إلى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن إلا الرحمن .. » ، حيث وصف الوقف على « صافات » بأنه كاف ، والوقف على « ويقبضن » بأنه « تام » عند نافع ، أما الوقف على لفظ « الرحمن » فإنه أتم من الوقف السابق .

ثانيا : يتغير موضع الوقف وحكمه بتغير المعنى النحوي للفظ الموقوف عليه ، وذلك تبعا للعلامة الإعرابية التي قد تختلف باختلاف القراءات ، وذلك مثل قوله تعالى : « ... وأعتدنا لهم عذاب السعير ، وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم » ، فمن رفع لفظ « عذابُ جهنم » كان وقفه التام على لفظ « السعير » لعدم الارتباط بين عذاب الشياطين وعذاب الكفار ، أما من نصب لفظ « عذابَ جهنم » [1] فإنه عطفها على عذاب السعير ، ويكون المعنى : « وأعتدنا » للذين كفروا بربهم عذابَ السعير ، وعلى هذه القراءة يكون الوقف على لفظ « جهنم » ، ولا يوقف في هذه الحالة على لفظ « السعير » لعدم تمام الجملة في حالة النصب ؛ لأن المعنى حينئذ سيكون : وأعتدنا للشياطين عذابَ السعير وللذين كفروا عذابَ جهنم .

ثالثا : لوحظ أن الوقف التام هو الوقف الغالب على رؤوس الآي في السورة الكريمة ، وقد ورد ذلك فيما ينيف على العشرين موضعا من

---

(١) قرأ بذلك : الضحاك والاعرج ، وأُسَيْد بن أُسَيْد الزني ، والحسن البصري (في رواية هارون عنه) .

جملة الوقوف الواردة في السورة وهو ثمانية وثلاثون ، وبهذا تتأكد ملاحظة أبي عمرو الداني عندما قال : « ورؤوس الآية تامة »[١] ، أي أن الوقف عليها يوصف بالتمام ، قلت : وينبغي أن يقيد ذلك بأنه : الأكثر أو الأغلب .

رابعا : اهتم أبو جعفر اهتماما كبيرا بذكر آراء من سبقوه من مؤلفي كتب الوقف والابتداء ، خاصة عندما يكون هناك خلاف في موضع الوقف أو في نوعه من حيث التمام أو الكفاية ، ومن أمثلة ذلك : رواية الوقف التام عن نافع والقنبي وأبي حاتم على قوله سبحانه : « ويقبضن » في الآية التاسعة عشرة ، وبأن الوقف على رأس هذه الآية وهو لفظ « بصير » تام عند غير نافع .

خامسا : لم يذكر أبو جعفر كيفية الوقف على المواضع التي ورد فيها في السورة الكريمة ، وسنلخص في الجدول التالي هذه الكيفية ، مع ذكر نوع الوقف وموضعه :

---

(١) المكتفى في الوقف والابتداء ص ٥٩٢ .

م	اللفظ الموقوف عليه	رقم الآية	حكم الوقف	كيفية الوقف
١	قديرْ	١	جائز	تسكين الراء ومد الياء قبلها مدا عراضا
٢	الغفورْ	٢	،،	تسكين الراء ومد الواو قبلها مداً عارضاً
٣	تفاوتْ	٣	كاف	تسكين التاء
٤	حسيرْ	٤	تام	تسكين الراء ومد ما قبلها مدا عارضا
٥	للشياطينْ	٥	كاف	تسكين النون ومد ما قبلها مدا عارضا
٦	السعيرْ	٥	تام	تسكين الراء ومد ما قبلها مدا عارضا
٧	عذاب جهنمْ	٦	كاف	تسكين الميم
٨	المصيرْ	٦	تام	تسكين الراء ومد ما قبلها مدا عارضا
٩	الغيظْ	٨	،،	تسكين الفاء ومد اللين قبلها مدا عارضا
١٠	كبيرْ	٩	،،	تسكين الراء ومد الياء قبلها مدا عارضا
١١	السعيرْ	١٠	كاف	تسكين الراء ومد الياء قبلها مدا عارضا
١٢	بذنبهمْ	١١	،،	تسكين الميم
١٣	لأصحاب السعيرْ	١١	تام	تسكين الراء ومد ما قبلها مدا عارضا
١٤	وأجر كبيرْ	١٢	،،	تسكين الراء ومد ما قبلها مدا عارضا
١٥	الصدورْ	١٣	،،	تسكين الراء ومد ما قبلها مدا عارضا
١٦	الخبيرْ	١٤	،،	تسكين الراء ومد ما قبلها مدا عارضا
١٧	رزقهْ	١٥	كاف	تسكين الهاء وحذف الصلة
١٨	النشورْ	١٥	تام	تسكين الراء ومد ما قبلها مدا عارضا
١٩	حاصبا	١٧	كاف	إبدال نون التنوين ألفا
٢٠	نذيرْ	١٧	تام	تسكين الراء ومد ما قبلها مدا عارضا
٢١	نكيرْ	١٨	تام	تسكين الراء ومد ما قبلها مدا عارضا
٢٢	صافاتْ	١٩	كاف	تسكين التاء وحذف التنوين
٢٣	ويقبضنْ	١٩	تام	تسكين النون

م	اللفظ الموقوف عليه	رقم الآية	حكم الوقف	كيفية الوقف
٢٤	الرحمنْ	١٩	أتم	تسكين النون ومد ما قبلها مدا عارضا
٢٥	بصيرٌ	١٩	تام	تسكين الراء ومد ما قبلها مدا عارضا
٢٦	الرحمنْ	٢٠	كاف	تسكين النون ومد ما قبلها مدا عارضا
٢٧	غرورٌ	٢٠	تام	تسكين الراء ومد ما قبلها مدا عارضا
٢٨	رزقهْ	٢١	كاف	تسكين الهاء وحذف الصلة
٢٩	نفورٌ	٢١	تام	تسكين الراء ومد ما قبلها مدا عارضا
٣٠	مستقيمٌ	٢٢	،،	تسكين القاف ومد ما قبلها مدا عارضا
٣١	والأفئدهْ	٢٣	،،	إبدال التاء هاء ساكنة
٣٢	تشكرونْ	٢٣	،،	تسكين النون ومد ما قبلها مدا عارضا
٣٣	تحشرونْ	٢٤	،،	تسكين النون ومد ما قبلها مدا عارضا
٣٤	مبينْ	٢٦	،،	تسكين النون ومد ما قبلها مدا عارضا
٣٥	تدعونْ	٢٧	،،	تسكين النون ومد ما قبلها مدا عارضا
٣٦	أليمٌ	٢٨	،،	تسكين الميم ومد ما قبلها مدا عارضا
٣٧	توكلنا	٢٩	كاف	الوقف كالوصل دون تغيير
٣٨	مبينْ	٢٩	تام	تسكين النون ومد ما قبلها مدا عارضا

سادسا : غلب على الوقف في السورة الكريمة أن يكون بالسكون مع مد ما قبله مدا عارضا لأجل سكون الوقف ، وهو عند عاصم بمقدار ٢ - ٦ حركات ، وقد ورد ذلك في سبعة وعشرين موضعا .

سابعا : فيما يتعلق بموضع الوقف فإن رؤوس الآي هي العنصر الغالب في الوقف ، حيث بلغت نسبة الوقوف على الفواصل ما ينيف على ٦٣٪ (٢٣ موضعا) ، وقد وصفت هذه الوقوف بأنها تامة فيما عدا الوقف على رأس الآية العاشرة التي وسم فيها الوقف بأنه كاف .

* * *

الباب الرابع

في التطبيقات الصوتية والأدائية

تمهيد

إن الانتفاع بالدرس اللغوي عامة ، والصوتي على وجه الخصوص ، يظل قاصراً ما لم يتمرس عليه الطالب ويطبقه عمليا من خلال نصوص حية يقوم بقراءتها على نحو صحيح ، ثم يقف من خلال هذا التدريب على أسرار فصاحتها وتذوق ما فيها من الجمال والكمال .

ولا شك أن دراسة أصوات القرآن الكريم تظل بلا فائدة تذكر ما لم يمارسها القارئ عمليا ، بل ويتلقاها من أفواه الشيوخ المجيدين الذين نقلوا إلينا القراءة الصحيحة بعد أن توارثوها كابرا عن كابر ، ووصلت أسانيدهم إلى الرسول الكريم ﷺ ، الذي تلقى القرآن عن جبريل عن رب العزة مصداقا لقوله تعالى : ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ [الحجر : ٩] ، وقوله سبحانه : ﴿ وإنك لتُلَقَّى القرآن من لدن حكيم عليم ﴾ [النمل : ٩] .

ولما كان التدرب ينبغي أن يتم أولا على أصوات العربية الفصحى ثم على الأحكام الأدائية المتعلقة بأصوات القرآن الكريم ، رأينا أن نزود هذه العجالة ببعض التطبيقات الصوتية والأدائية التي تعين على استيعاب الأحكام من جانب ، وتساعد على أدائها أداء صحيحا من جانب آخر .

ولما كانت التدريبات الصوتية متعلقة بحقائق علم الأصوات التي شرحناها في الكتاب الخاص بها ، فقد رأينا أن تسبق التدريبات الصوتية بلمحة موجزة تذكر بخلاصة الحقائق الصوتية المتعلقة بهذا التدريب أو ذاك ، ولم نفعل الشيء نفسه فيما يتعلق بأصوات القرآن الكريم نظرا لأن هذه الأحكام قد شرحت في هذا الكتاب مما يغني عن إعادتها أو التذكير بها هنا .

التطبيق الأول

في الصوامت العربية

تذكير

نعرف أن الصوت الصامت هو ذلك الصوت الذي يعاق معه مجرى الهواء إعاقة كاملة أو جزئية ينجم عنها حفيف مسموع ، وبتطبيق هذا التعريف على اللغة العربية يتضح أنها تحوز ٢٨ صوتا صامتا ، لكل منها خواصه المتعلقة بالمخرج (نقطة الإعاقة) ، وبدرجة الإعاقة وكيفيتها وباهتزاز الأوتار وعدم اهتزازها (الجهر والهمس) ، وبشكل اللسان (الإطباق والانفتاح) ، وهناك خواص أو صفات ثانوية أخرى مثل الصفير والاستعلاء والقلقلة وغير ذلك .

١ ـ قال الله تعالى : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ① وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ② الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ③ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ④ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ⑤ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ⑥ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ⑦ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ⑧ ﴾ [الشرح : ١ - ٨] .

أ ـ استخرج من السورة الكريمة ثلاثة أصوات مهموسة وأخرى مجهورة .

ب ـ استخرج من السورة الكريمة حرفين حلقيين وآخر شفوي .

ج ـ استخرج من السورة الكريمة ثلاثة أصوات رخوة وصوتين شديدين .

د ـ استخرج من السورة الكريمة صوتين مطبقين وآخرين منفتحين .

هـ ـ استخرج من السورة الكريمة حرفين من حروف الاستعلاء غير المطبقة وصوتين من أصوات القلقلة .

٢ ـ قال الله تعالى : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ① وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ② لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ③ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ④ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ⑤ ﴾ [القدر : ١ - ٥] .

اقرأ السورة الكريمة بصوت مسموع ثم أجب عما يأتي :

أ ـ ما الحروف الجانبية والأنفية التي تضمنتها السورة الكريمة ؟

ب ـ ما حكم القاف والطاء من حيث الجهر والهمس ؟

ج ـ وضح لماذا اختلف القدماء والمحدثون في مخرج الحاء ؟

د ـ اذكر صفة كل من الميم والنون من حيث :

١ ـ درجة الإعاقة .

٢ ـ اهتزاز الأوتار الصوتية .

٣ ـ شكل اللسان .

٤ ـ نقطة الإعاقة (المخرج) .

* * *

التطبيق الثاني
في المصوتات العربية

تذكير

يقصد بالمصوت هنا ذلك الصوت الذي يتسع معه مجرى الهواء إلى الدرجة التي لا يحدث فيها حفيف مسموع ، وبتطبيق هذا التعريف على أصوات اللغة العربية يتضح أنه ينطبق على ما يسمى بالحركات القصيرة ، وهي الفتحة والكسرة والضمة ، والحركات الطويلة وهي ألف المد وواوه وياؤه ، ولكل من هذه الأصوات الستة سماته الخاصة من حيث الأمامية والخلفية والاتساع والضيق والانفراج والاستدارة والطول والقصر ، كما أن لكل منها ما يناظره من الحركات المعبارية .

١ ـ اقرأ قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ [فصلت : ٣٠ - ٣٢] .

أ ـ استخرج من الآيات الكريمة ثلاثة أصوات ضيقة .

ب ـ استخرج من الآيات الكريمة ثلاثة أصوات خلفية .

ج ـ استخرج من الآيات الكريمة صوتين متسعين أحدهما خلفي والآخر أمامي .

د ـ استخرج من الآيات الكريمة صوتين منفرجين وآخر مستديرا.

هـ ـ استخرج من الآيات الكريمة مصوتا أماميا قصيرا وآخر خلفيا طويلا .

٢ ـ قال رسول الله ﷺ : « لا يتمنين أحدكم الموت من ضر أصابه ، فإن كان لا بد فاعلا فليقل اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرا لي وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي » .

اقرأ الحديث الشريف ثم استخرج منه ما يلي :

أ ـ حركة ضيقة أمامية موضحا ما يقابلها من الحركات المعيارية .

ب ـ حركة مستديرة خلفية مع ذكر ما يقابلها من الحركات المعيارية .

ج ـ حركة متسعة خلفية قصيرة مع توضيح ما يقابلها من الحركات المعيارية .

د ـ وازن بين الحركة المعيارية الأولى وبين الكسرة العربية .

هـ ـ استخرج من الحديث الشريف صوتا من أشباه الحركات موضحا الفرق بينه وبين الحركة المجانسة له من حيث درجة الاتساع .

و ـ استخرج من الحديث الشريف ياء صامتة وأخرى مصوتة وثالثة شبيهة بالمصوت (الحركة) .

* * *

التطبيق الثالث

في التحليل الصوتي

تذكير

يراد بالتحليل الصوتي بيان ما تشتمل عليه الكلمات أو العبارات أو الجمل من وحدات صوتية صامتة أو صائتة مع بيان نوع المصوت (الحركة) من حيث الطول أو القصر ، ويجب أن يراعى في عملية التحليل ما ينطق به فعلا بغض النظر عن طريقة كتابته .

١ ـ قال الشاعر حافظ إبراهيم على لسان اللغة العربية :

أنا البحر في أحشائه الدر كامن
فهل ساءلوا الغواص عن صدفاتي
فيا ويحكم أبلى وتبلى محاسني
ومنكم وإن عز الدواء أساتي

أ ـ اقرأ البيتين السابقين ثم حلل الكلمات الآتية تحليلا صوتيا :
البحر ـ ويحكم ـ الدواء ـ كامن .

ب ـ حلل الشطر الثاني من البيت الأول تحليلا صوتيا .

٢ ـ قال الشاعر زهير ابن أبي سلمى :

ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله
على قومه يستغن عنه ويذمم

أ ـ اقرأ البيت السابق ثم حلل الكلمات التي تحتها خط تحليلا صوتيا .

ب ـ حلل الكلمات الآتية تحليلا صوتيا في حالتي الوصل والوقف : فضل ـ قومه ـ يدمم .

٣ ـ حلل الكلمات الآتية تحليلا صوتيا :

الضحى ـ الهدى ـ يتقون ـ نجوى .

نموذج للتحليل الصوتي لكلمة « السماء » :

تتكون الكلمة السابقة في حالة الابتداء بها ووصلها بما بعدها من الوحدات الصوتية الآتية :

الوحدة الصوتية	نوعها
الهمزة	صامتة
الفتحة	حركة قصيرة
السين (الأولى)	صامتة
السين (الثانية)	صامتة
الفتحة	حركة قصيرة
الميم	صامتة
ألف المد	حركة طويلة
الهمزة	صامتة
الضمة	حركة قصيرة

وفي حالة الوقف فإننا لا نذكر ضمة الهمزة الأخيرة لأنها تسقط وقفا .

* * *

التطبيق الرابع

في وظائف الوحدات الصوتية

تذكير

الوحدة الصوتية وفقا للتعريف الوظيفي هي كل عنصر صوتي متميز يترتّب على تغيره تغير المعنى ، ويمكن تلخيص أهم الوظائف التي تقوم بها الوحدات الصوتية الصامتة في اللغة العربية فيما يلي :

١ ـ الوظيفة البنائية ، وذلك بأن تحمل الوحدة الصوتية مع غيرها من الوحدات جرثومة المعنى المعجمي (الوضعي) للكلمة ، ويكون هذا في الحروف الأصلية للكلمة .

٢ ـ الوظيفة التصريفية ، وذلك كدلالة الهمزة في صيغة أفعل على التعدية ، ويكون هذا في الحروف الزائدة .

٣ ـ الوظيفة التحسينية ، وعادة ما تقوم الوحدة بهذه الوظيفة بالإضافة إلى أداء إحدى الوظيفتين السابقتين ، وذلك إذا كانت الوحدة بدلا من غيرها ؛ لأن الأصل في ذلك هو تحقيق الانسجام الصوتي كما في « اصطبر » .

٤ ـ الوظيفة التعبيرية ، ويراد بها إشارة الوحدة الصوتية إلى درجة المعنى من حيث القوة والضعف ، كما في « خَضَمَ » ، و« قَضَمَ » ، حيث تشير الخاء إلى ضعف المعنى ، وتشير القاف إلى قوته ، بالإضافة إلى الوظيفة البنائية التي تقوم بها كل منهما .

وتشارك الوحدات الصوتية الصائتة الصوامت في هذه الوظائف ، وذلك مثل دلالة الكسرة في « الحِجْر » على اختلاف المعنى المعجمي إذا

قورنت بالفتحة في « الحَجْر » ، ومثال الوظيفة التصريفية دلالة الضمة على البناء للمجهول في « فُهِمَ » إذا قورنت بـ « فَهِمَ » ، أما الوظيفة الثالثة فمثالها إبدال الفتحة ضمة في كلمة « سُكَارَى » لتحقيق المخالفة بين الحركات الأمامية المتسعة ، أما الوظيفة الأخيرة فمثل دلالة الكسرة على الرقة ودلالة الضمة على القوة .

١ ـ قال الله تعالى : ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَ لَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴾ [فاطر : ٣٧] .

أ ـ استخرج من الآية الكريمة خمس وحدات صوتية تقوم بوظيفة بنائية .

ب ـ استخرج ثلاث وحدات تقوم بالوظيفة التصريفية .

ج ـ ما الذي يوحي به استخدام الصاد والطاء والخاء في كلمة « يصطرخون » .

د ـ استخرج من الآية الكريمة وحدة صوتية تقوم بالوظيفة التحسينية .

٢ ـ جاء في حديث بدء الوحي : « ... ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الخَلاَءُ فَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ اللَّيَالِي ذَوَاتِ العَدَدِ ... » .

أ ـ وضح الوظيفة التي تقوم بها الوحدات الصوتية الآتية :

الضمة في « حُبِّبَ » ـ الخاء في « الخَلاَء » ـ الثاء في « يَتَحَنَّثُ » التي وردت بالفاء في الرواية الأخرى « يتحنف » ـ الياء في « يخلو » .

* * *

التطبيق الخامس
في الصفات الفارقة

تذكير

تعد الوحدة الصوتية وفقا لنظرية الصفات الفارقة حزمة متضافرة من الصفات الفارقة التي يعتد بها أساسا للتفريق بين هذه الوحدات في لغة ما ، مثال ذلك أن الباء في اللغة العربية حزمة من الخواص الأساسية (الفارقة) : الشدة والشفوية والجهر والانفتاح ، وينطبق ذلك على الصوامت كما ينطبق على المصوتات .

وفيما يتعلق بالصوامت فإن هذه الخواص الفارقة لا تعدو أن تكون حزمة من الخواص أو الصفات الآتية :

١ ـ الصفة الخاصة بالمخرج مثل كون الوحدة حلقية أو شفوية ... إلخ .

٢ ـ الصفة الخاصة باهتزاز الأوتار الصوتية ، ككون الصوت مجهورا أو مهموسا .

٣ ـ الصفة المتعلقة بدرجة الإعاقة وكيفيتها ، ككون الصوت شديدا أو رخوا أو مركبا أو أنفيا ... إلخ .

٤ ـ الصفة المتعلقة بكشل اللسان أثناء النطق ككون الصوت مطبقا أو منفتحا ، وما عدا ذلك من الصفات فإنه يعد ثانويا يفرق به بين الصور الصوتية .

أما المصوتات أو الحركات فإن صفاتها الفارقة تتلخص فيما يلي :

١ ـ الصفة المتعلقة بالوضع الأفقي للسان ككون الحركة أمامية أو خلفية .

٢ ـ الصفة المتعلقة بالوضع الرأسي للسان ككون الحركة ضيقة أو متسعة .

٣ ـ الصفة المتعلقة بوضع الشفتين ككون الحركة مستديرة أو منفرجة أو محايدة .

٤ ـ الصفة المتعلقة بزمن النطق ككون الحركة قصيرة أو طويلة .

٥ ـ الصفة المتعلقة بعدد الذبذبات الصوتية ككون الحركة حادة أو غليظة .

٦ ـ الصفة المتعلقة بانتشار الذبذبات في الفم ككون الحركة متضامة أو منتشرة .

أولا : قال الله تعالى : ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾ [الحجر : ٢١] .

أ ـ حلل كلمة « إلا » تحليلا صوتيا ثم وضح الخواص الفارقة لكل وحدة على حده .

ب ـ استخرج من الآية الكريمة صوتين حنجريين موضحا بقية صفاتهما الفارقة .

ج ـ استخرج من الآية الكريمة حركتين ضيقتين قصيرتين ثم اذكر بقية صفاتهما الفارقة .

ثانيا : أكمل جدول الصفات الفارقة للوحدات الصوتية الآتية ، وذلك بوضع الصفة مكان النقط فيما يلي :

ـ الحاء حزمة من خواص : الحلقية و.... والرخاوة و.... .

ـ النون حزمة من خواص : .... والجهر و.... والانفتاح .

ـ الفاء حزمة من خواص : الشفوية الأسنانية ، والهمس و... و... .

ـ العين حزمة من خواص : الحلقية والجهر و.... و.... .

ثالثا : أكمل جدول الصفات الفارقة للحركات (المصوتات) :

ـ الكسرة حزمة من الخواص الآتية : الضيق و.... والانكسار و.... والتضام و.... .

ـ واو المد حزمة من الخواص الآتية : الطول و.... والحلقية و.... والغلظ و.... .

رابعا : اقرأ قول الله عز وجل : ﴿ وما محمدٌ إلا رسولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ... ﴾ [آل عمران : ١٤٤] .

ـ استخرج من الآية الكريمة حركة متسعة ثم اذكر بقية صفاتها الفارقة .

ـ استخرج من الآية الكريمة حرفا لهويا موضحا بقية صفاته الفارقة .

ـ استخرج من الآية الكريمة حركة خلفية طويلة ثم اذكر بقية صفاتها الفارقة .

* * *

التطبيق السادس

في الأصوات العربية في السياق
« المماثلة والمخالفة »

تذكير

قد يعرض للوحدة الصوتية في السياق أي في التركيب ، ما يجعلها تفقد بعض صفاتها الفارقة التي أشرنا إليها في التطبيق السابق ، والقاعدة العامة في ذلك هي أنفة الذوق العربية من اجتماع المتماثلات وما أشبهها من الأصوات المتجانسة (أي المتحدة في المخرج) أو المتقاربة (في المخرج أو الصفات أو هما معا) ، وإذا حدث ذلك تخلصت العربية من ذلك بالمخالفة ، وأنفتُهُ أيضا من اجتماع المتنافرات ، وإذا حدث ذلك تخلصت العربية من ذلك بالمماثلة .

١ ـ قال الله تعالى : ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾[طه : ١٣٢] .

وقال الله عز وجل : ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ﴾ [القمر : ٩] .

وقال سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [القمر : ٢٢] .

أ ـ استخرج من الآيات الكريمة السابقة مماثلة مقبلة وأخرى متبادلة .

ب ـ وضح موضع المماثلة ونوعها في قوله تعالى : ﴿ أن تقولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنْبِ اللهِ ﴾ [الزمر : ٥٦].

ج - وضح الصفات الفارقة التي فقدتها تاء الافتعال في الآية الأولى والنون في الآية الأخيرة ، أي في كلمة « جنب » .

٢ - قال الله تعالى : ﴿ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلا ﴾ [الفرقان : ٥] .

وقال سبحانه : ﴿ ... وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً ... ﴾ [يوسف : ٣١].

وقال سبحانه : ﴿ الآن حصحص الحق ... ﴾ [يوسف : ٥١] .

أ - وضح المخالفة في الآيات السابقة .

ب - وضح الصورة الافتراضية للألفاظ التي حدثت فيها المخالفة .

ج - هات مثالا من عندك للمخالفة المنفصلة .

٣ - جاء في قصة الخليفة الواثق مع الإمام أبي عثمان المازني : « باسمك يا مازني ... » إلخ .

أ - بماذا تفسر إبدال الميم باء .

ب - بماذا تفسر إدغام الدال في تاء الافتعال في مثل قولنا «ادعى».

ج - بماذا تفسر إبدال النون باء في مثل تظنيت .

* * *

التطبيق السابع
في التحليل المقطعي

تذكير

يعني التحليل المقطعي بيان المقاطع التي تتكون منها الكلمات الصوتية ، أي تلك التي يمكن الابتداء بها ويجوز الوقف عليها ، أما المقطع فهو تلك الدفقة الهوائية الواحدة التي يتم تشكيلها في الجهاز الصوتي ولا تحوي سوى حركة واحدة ، ومن ثم فإنه يكون بالكلمة من المقاطع بعدد ما فيها من الحركات .

وفي اللغة العربية ستة أنماط مقطعية يرمز إليها على النحو التالي :

مكونات المقطع	نوعه من حيث الكم والكيف
١ ـ ص + ح	قصير مفتوح
٢ ـ ص + ح ح	متوسط مفتوح
٣ ـ ص + ح + ص	متوسط مغلق
٤ ـ ص + ح ح + ص	طويل مغلق
٥ ـ ص + ح + ص ص	طويل مزدوج الإغلاق
٦ ـ ص + ح ح + ص ص	طويل مزدوج الإغلاق

ومن المعروف أن النمطين الأخيرين لا يَرِدَان إلا في حالة الوقف .

١ ـ قال الله تعالى : ﴿ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [النحل : ١٢٧ ، ١٢٨] .

أ ـ حلل ما تحته خط في الآيات الكريمة تحليلا مقطعيا مبينا نوع المقطع من حيث الكم والكيف .

ب ـ حلل كلمتي « يمكرون » ، « محسنون » في حالتي الوصل والوقف .

٢ ـ قال رسول الله ﷺ : « إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ ما نَوَى ... » إلخ .

أ ـ حلل الكلمات الآتية تحليلا مقطعيا : الأعمال ـ بالنيات ـ لكل امرئ ، ثم اذكر الفرق بين التكوين المقطعي لهذه الكلمات في حالتي الوصل والوقف .

ب ـ حلل الكلمات الآتية وصلا ووقفا مع بيان نوع المقطع من حيث الكم : دَابَّة ـ فَهْمْ ـ مستَقَرّ ـ حاجّ .

ج ـ حلل ما يأتي تحليلا مقطعيا مع بيان نوع المقطع من حيث الكيف : المؤمنونَ ـ يتعاونونَ ـ ضَرْبٌ ـ الصَّافَّات .

٣ ـ قال الشاعر :

وما نَيْلُ المَطَالِبِ بِالتَّمَنِّي ... وَلَكِنْ تُؤْخَذُ الدُّنْيَا غِلابَا

حلل الشطر الثاني من البيت السابق تحليلا مقطعيا موضحا نوع المقطع من حيث الكم والكيف .

* * *

التطبيق الثامن

في الوحدات الصوتية الأدائية

تذكير

يراد بالوحدة الصوتية الأدائية تلك العناصر الصوتية التي تشمل مقطعا صوتيا بكامله ، أو تفصل بين مقطعين ، وتسمى هذه الوحدات بالوحدات التطريزية ، لأنها تعلو الوحدات الصوتية العادية كما يعلو التطريز قطعة من الثوب ، وتشمل هذه الوحدات عناصر أدائية عديدة ، أهمها :

١ـ النبر:

ويعني إبراز مقطع من المقاطع في الكلمة أو الجملة عن طريق قوة ضغط الهواء المصاحب للعملية الصوتية مع استمراره وارتفاعه ، ويقع في العادة على المقاطع الطويلة ، فإن لم يكن هناك مقاطع طويلة وقع النبر على المقطع الذي قبل الأخير ، إلا إذا كانت الكلمة مبدوءة بثلاثة مقاطع متماثلة أو أكثر من النوع الأول ، وفي هذه الحالة فإن النبر يكون على المقطع الأول .

٢ـ التنغيم:

والمراد به تنويع أداء النغمات من حيث الحدة والغلظ (أي من حيث كثرة الذبذبات الصوتية وقلتها) ، وأهم أنواعه التنغيم الصاعد والتنغيم الهابط والتنغيم المستوي ، والصاعد الهابط وعكسه (أي الهابط الصاعد) ، وعادة ما يؤدي هذا التنغيم وظيفة نحوية في الجملة العربية مثل كونها استفهاما أو خبراً أو تعجبا ، فإذا نطقت جملة مثل « العميد موجود » بنغمة صاعدة هابطة كانت استفهاما ، وإذا نُطِقَت بنغمة

مستوية كانت خبرا ، وإذا نطقت بنغمة هابطة صاعدة كانت دالة على الدهشة والتعجب .

٣ ـ المفصل Jancture :

ويراد به تلك السكتة الخفيفة بين مجموعة من الكلمات أو المقاطع للدلالة على انتهاء لفظ ما أو مقطع ما وبداية لفظ أو مقطع آخر ، ولهذه الوقيفة دور بارز في التمييز بين معاني الأبواب النحوية كالفاعلية والمفعولية وما أشبه ذلك ، وقد تؤدي وظيفة صوتية خالصة ، وذلك مثل سكت « حمزة » على الياء في كلمة « شيء » حماية للهمزة من التسهيل أو الحذف .

أولا : قال الله تعالى : ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ① الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ② وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾ [المطففين ١ - ٣] .

أ ـ وضح الوحدة الصوتية الأدائية فيما تحته خط في الآية السابقة ثم اقرأ الآية الكريمة مرة بمراعاة الوحدة وأخرى بعدم مراعاتها .

ب ـ بين موضع النبر في « المطففين » و« يخسرون » في حالة الوقف .

ج ـ حلل كلمتي « اكتالوا » و« يستوفون » تحليلا مقطعيا موضحا موضع النبر في كل منهما .

ثانيا : قال الله تعالى : ﴿ قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴾ [يس : ٥٢] .

وقال عز وجل : ﴿ وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ ... ﴾ [القيامة : ٢٧] .

وقال سبحانه : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَاۜ ۝ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ ... ﴾ [الكهف : ١ ، ٢] .

أ - بين موضع المفصل في الآيات الكريمة السابقة مع توضيح الوظيفة التي يقوم بها .

ب - اذكر موضع النبر في قوله : « بعثنا » و« مرقدنا » .

ج - حلل كلمة « المرسلون » تحليلا مقطعيا في حالتي الوصل والوقف ، ثم بين موضع النبر في الحالتين .

ثالثا : « الامتحان سهل » .

اقرأ الجملة السابقة بصوت مرتفع ثلاث مرات بحيث تكون :

أ - بنغمة مستوية .

ب - بنغمة صاعدة هابطة .

ج - بنغمة هابطة صاعدة .

ثم وضح معنى الجملة من حيث كونها استفهاما أو خبرا أو تعجبا.

• • •

التطبيق التاسع

في أحكام الميم الساكنة والتنوين

أولا : اقرأ الآيات الكريمة الآتية بصوت مسموع ثم أجب عما يليها من الأسئلة :

١ ـ قال تعالى : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾ [الحجر : ٤٧] .

استخرج من الآية :

أ ـ نونا ساكنة يجب فيها الإظهار .

ب ـ نونا ساكنة يجب فيها الإدغام .

ج ـ نونا ساكنة أظهرها بعض القراء وأخفاها آخرون مع توضيح السبب .

٢ ـ قال تعالى : ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ [الأنعام : ٢٦] .

اقرأ الآية ثم وضح حكم النون الساكنة والتنوين فيما تحته خط .

٣ ـ قال تعالى : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [الإسراء : ٤٤] .

أ ـ اقرأ الآية ثم وضح ما يجب إظهاره من نون ساكنة أو تنوين .

ب ـ وضح حكم النون الساكنة في قوله سبحانه : « من فيهن » ، و« من شيء » ، و« لكن لا .. » .

ج ـ اذكر حكم التنوين في قوله : « شيء » و« حليما » .

٤ ـ يقول عز من قائل :

ـ ﴿ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا ﴾ [النازعات : ٤٥] .

ـ ﴿ ... وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُوراً ﴾ [الفرقان : ٤٨] .

ـ ﴿ نُودِيَ أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا ... ﴾ [النمل : ٨] .

ـ ﴿ قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ ... ﴾ [البقرة : ٣٣] .

اقرأ الآيات الكريمة السابقة بصوت مسموع ثم استخرج ما يلي :

أ ـ نونين يجب فيهما الإخفاء .

ب ـ نونين يجب فيهما الإقلاب .

ج ـ نونا يجب إظهارها .

د ـ تنوينا يجب إخفاؤه .

٥ ـ يقول المولى عز وجل :

ـ ﴿ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴾ [المسد : ٤] .

ـ ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [التوبة : ١٠٩] .

ـ ﴿ ... لِلَّهِ الأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ ... ﴾ [الروم : ٤] .

ـ ﴿ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴾ [العاديات : ١١] .

اقرأ الآيات الكريمة السابقة وفقا لما تلقيته من الأحكام الأدائية ، ثم استخرج أحكام النون الساكنة والتنوين والميم الساكنة .

* * *

التطبيق العاشر

في أحكام المد والقصر

١ ـ يقول الله تبارك وتعالى في سورة البقرة :

﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ .

أ ـ وضح الحركات الطويلة التي يجب فيها المد (المطل) باتفاق القراء .

ب ـ بين الحركات الطويلة التي يجوز فيها المد والقصر موضحا سبب ذلك .

ج ـ ما الحركات الطويلة التي يجب فيها القصر .

٢ ـ وضح نوع المد وحكمه فيما تحته خط من الآيات الكريمة الآتية ، قال تعالى :

ـ ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [التكوير : ٢٩].

ـ ﴿ نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝ مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴾ [القلم : ١ ، ٢] .

ـ ﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ [هود : ٦] .

ـ ﴿ وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ﴾ [يوسف : ١٦] .

ـ ﴿ آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [يونس : ٩١] .

٣ ـ اقرأ سورة الأعلى ثم استخرج منها ما يلي :

أ ـ مدا متصلا . ب ـ مدا منفصلا .

ج ـ حركة طويلة يجب فيها القصر .

التطبيق الحادي عشر

في أحكام الوقف والابتداء

١ ـ اقرأ سورة الفاتحة ثم استخرج منها ما يأتي : وقفا تاما ـ وقفا كافيا ـ وقفا قبيحا .

٢ ـ يقول الله تعالى في سورة البقرة : ﴿ الٓمٓ ① ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ② الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ③ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ .

اقرأ هذه الآيات الكريمة بصوت مسموع ثم وضح ما يلي :

أ ـ حكم الوقف على « الذين » في الآيتين الثالثة والرابعة .

ب ـ حكم الوقف على « ريب » و« فيه » معا .

ج ـ حكم الابتداء بـ « ذلك » .

د ـ حكم الابتداء بـ « هم » في رزقناهم .

٣ ـ اقرأ الآيات الكريمة الآتية ثم وضح :

أ ـ كيفية الوقف فيما تحته خط :

ـ ﴿ فلا يحزنك قولهم إنا نعلم ما يسرون وما يعلنون ﴾ [يس : ٧٦] .

ـ ﴿ وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب ﴾ [هود : ٧١] .

ـ ﴿ انا اعتدنا للكافرين سلاسلاً وأغلالاً وسعيرا ﴾ [الإنسان : ٤] .

ـ ﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ﴾ [آل عمران : ١٤٤].

ب ـ كيف تبتدي بالكلمات : « امرأته » ، « أعتدنا » ، « إنا » ، وما نوع الهمزة في كل .

ج ـ اقرأ الآيات الخمس الأولى من سورة الملك ثم أجب عما يأتي :

ـ هل يجوز الوقف على رأس الآيتين : الأولى والثانية ، ولماذا ؟ .

ـ وضح موضع الوقف التام وكيفيته في هذه الآيات .

ـ قرئت لفظة « عذاب » في الآية السادسة بالرفع والنصب ، فما تأثير ذلك على موضع الوقف .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين
وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد
وعلى آله وصحبه أجمعين

* * *

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٥
تمهيد : بين الترتيل والتجويد	٧
مراتب الترتيل	٩
علم الأصوات والأداء القرآني	١٢
علم التجويد	١٣
الباب الأول : فن الأداء القرآني	١٥
نشأة علم التجويد وتطور التأليف فيه	١٧
مخارج الحروف	٢١
مخارج الحروف العربية	٢٤
مخرج أحرف المد والحركات	٢٦
صفات الحروف	٢٩
الصفات اللازمة (المتضادة)	٢٩
الحروف العربية بين الجهر والهمس	٣٠
الصفات اللازمة غير المتضادة	٣٥
الصفات العارضة	٣٦
الغنة	٣٩
الإدغام	٤١
شروط الإدغام	٤٢
قواعد الإدغام	٤٣
أنواع الإدغام	٤٧
أحكام النون الساكنة	٥٠
النون في السياق	٥٢
الإظهار	٥٢

الموضوع	الصفحة
الإدغام (في النون والتنوين)	٥٥
الإدغام الكلي	٥٦
الإدغام الجزئي	٥٧
الإخفاء	٦٠
حروف الإخفاء	٦١
لماذا الإخفاء ؟	٦٤
مراتب الإخفاء	٦٦
الإقلاب	٦٩
أحكام الميم الساكنة	٧١
القلقلة	٧٣
أقسام القلقلة	٧٤
شروط القلقلة	٧٤
التفخيم والترقيق	٧٦
تفخيم ألف المد	٧٦
تفخيم اللام من لفظ الجلالة	٧٦
تفخيم الراء	٧٧
هل تفخم الحركات ؟	٧٩
خلاصة أحكام الراء	٨٠
المد والقصر	٨٢
الحركات العربية في السياق	٨٥
المد والقصر عند علماء الأداء	٨٦
أسباب المطل (المد الفرعي)	٨٨
أنواع المد وأحكامه	٩١
مد الصلة	٩٤
مراتب المد	٩٥

الموضوع	الصفحة
الإمالة	٩٧
الباب الثاني : الوقف والابتداء	١٠١
أهمية معرفة الوقف	١٠٣
علم الوقف والابتداء	١٠٦
الوقف	١٠٨
أنواع الوقف	١٠٩
أحكام الوقف وعلاماته	١١٢
كيفية الوقف	١١٥
القطع والسكت	١١٨
القيمة الدلالية للسكت	١١٨
الابتداء	١٢٦
كيفية الابتداء	١٢٦
الباب الثالث : نصوص تراثية في ترتيل القرآن الكريم	١٣١
تمهيد	١٣٣
النص الأول : من كتاب « التحديد في الإتقان والتجويد » لأبي عمرو الداني	١٣٥
كتاب « التحديد في الإتقان والتجويد »	١٣٨
النص : باب ذكر أحكام النون الساكنة والتنوين	١٤٠
النص الثاني : من كتاب « النشر في القراءات العشر » لابن الجزري	١٤٥
كتاب « النشر في القراءات العشر »	١٤٦
النص : باب مذاهبهم في الفتح والإمالة وبين اللفظين ...	١٤٨
النص الثالث : من كتاب « القطع والائتناف » لأبي جعفر النحاس	١٥٤
كتاب « القطع والائتناف »	١٥٥

الموضوع	الصفحة
موضوع النص	١٥٦
النص : الوقوف في سورة الملك	١٥٩
ملاحظات حول النص	١٦٤
الباب الرابع : في التطبيقات الصوتية والأدائية	١٧١
تمهيد	١٧٣
التطبيق الأول : في الصوامت العربية	١٧٤
التطبيق الثاني : في المصوتات العربية	١٧٦
التطبيق الثالث : في التحليل الصوتي	١٧٨
التطبيق الرابع : في وظائف الوحدات الصوتية	١٨٠
التطبيق الخامس : في الصفات الفارقة	١٨٢
التطبيق السادس : في الأصوات العربية في السياق	١٨٥
التطبيق السابع : في التحليل المقطعي	١٨٧
التطبيق الثامن : في الوحدات الصوتية الأدائية	١٨٩
التطبيق التاسع : في أحكام الميم الساكنة والتنوين	١٩٢
التطبيق العاشر : في أحكام القصر والمد	١٩٤
التطبيق الحادي عشر : في أحكام الوقف والابتداء	١٩٥
فهرس الموضوعات	١٩٧

للكمبيوتر. الطباعة. التصوير
ت: ٢٨٠٣٥٥٦ / ٥٢٣٧٢٤٩ / ٥٩٠٩٠٥٠ القاهرة
محمول: ٠١٠٦٥٣٥٥٢٥ / ٠١٠٦٤٩٧٣٩٥ / ٠١٠٣٣٤٦٣٢١ / ٠١٢٣٤٦٢٥٢٢.